

يهود الخزر

صهاينة - اشكيناز

دراسة تاريخية انثروبولوجية



إعداد

أ.د/ أحمد توني عبد اللطيف

أستاذ التاريخ الإسلامي

بكلية دار العلوم - جامعة النجف

يهود الخزر

(صهاينة - اشكيناز)

دراسة تاريخية انثروبولوجية (

إعداد

أ.د / أحمد تونى عبداللطيف

أستاذ التاريخ الإسلامى

بكلية دار العلوم جامعة المنيا

٢٠١٥ م

مُتَكَلِّمًا

ترجع فكرة البحث إلى نقطتين رئيسيتين، تكمن الأولى منهما في عدة تساؤلات محورية مهمة، تكاد تتطرق بها شفاة كل مسلم وعربي، بل كل إنسان باحث عن الحقيقة والعدل، وهي: هل يهود اليوم هم أحفاد يهود الأمس؟ أم أنهم أحفاد يهود الخزر الإشكيناز Ashkenazim؟ وهل جاءوا من أرض كنعان. أم من مدينة "إتيل" وسواحل بحر قزوين؟ وهل يهود اليوم ذوو نقاء جنسي حقًا انطلاقًا من الجيتو Ghetto؟ أم أنهم نتاج الشتات Diaspora، والاختلاط الذي لم يكن وفقًا على أجيالهم المتعاقبة في العصر الحديث؟ وإنما عايشهم منذ ظهورهم عن طريق الزواج والمصاهرة، مع من جاورهم وعاصروهم من الشعوب الأخرى، كما قالت التوراة. وهل فلسطين تمثل لليهود اليوم غربة أم أرض ميعاد؟ إنها بلا أدنى شك أرض غربة؛ ليس لليهود اليوم فقط بل لأنبيائهم، وحتى سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بنص التوراة كان غريبًا على فلسطين.

وسوف تجيب الدراسة على هذه التساؤلات القريبة منها والبعيدة. أما النقطة الثانية فهي ارتباط يهود الخزر بالواقع الإسلامي والعربي، كقاسم مشترك عبر التاريخ، ففي عصر الخلافة الإسلامية (الراشدة، والأموية، والعباسية) وقف الخزر حجر عثرة في طريق انطلاق المسلمين إلى شتّى أوربا؛ لاستكمال الدائرة التي كانت قد بدأت من الغرب في بلاد الأندلس،

مما يشير إلى وجود ثمة علاقات بين يهود الخزر ويهود الأندلس، وقد اتضح ذلك من خلال رسائل الخزر بين ملكهم يوسف وحسداى بن شبروط.

ولاشك أن الباحث في تاريخ الخزر يجد نوعاً من الصعوبة، ليس لندرة المصادر فحسب، وإنما لتعدد اللغات التي كتبت بها سواء في الجانب الفارسي أو الروسي أو البيزنطي، والتي يمكن من خلالها التقاط المعلومات من بين السطور؛ لكن هناك من تجشم عناء الإبحار في تاريخ الخزر، مثل "نلوب" في كتابه "تاريخ يهود الخزر"، الذي اعتمد فيه كثيراً على الحوليات الروسية والبيزنطية وتاريخ الفرس، أكثر من اعتماده على المصادر الإسلامية، وهناك "كيسلر" في كتابه "القبيلة الثالثة عشرة"، الذي بذل فيه جهداً كبيراً، يبدو من خلال اعتماده على الدراسة الأنثروبولوجية Anthtopology لليهود؛ من حيث مقارنة الأعضاء، وتحليل فصيلة الدم؛ لدحض فكرة نقاء الجنس، وإن كان العنوان يجعل من الخزر أبناً غير شرعي "ليعقوب" (عليه السلام)، حيث عدّهم القبيلة الثالثة عشرة بعد الأسباط الاثني عشر. وأيضاً الدكتور "جمال حمدان" في كتابه "اليهود أنثروبولوجيا"، عالج فيه دراسة اليهود من حيث الخصائص الجسدية؛ لمعرفة درجة التقارب أو التباعد وارتباطه بالبيئة والمستوى الاقتصادي، كما قال "ريلي" Ripley، وأيضاً الدكتور "زبيدة محمد عطا" في كتابها "اليهود في العالم العربي"، التي بذلت فيه جهداً كبيراً في جمع الوثائق المتعددة عن تاريخ اليهود، والتي

استفدت منها كثيراً، وأخيراً وليس بآخر الدكتور "عبد الوهاب المسيري" في موسوعته "اليهود واليهودية والصهيونية".

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة محاور، الأول: بعنوان "الواقع السياسي لدولة يهود الخزر"، حاولت الدراسة فيه التعرف على موقع بلاد الخزر، وأهميته من الناحيتين السياسية والاقتصادية، والبلدان التي شملها هذا الموقع، منذ قدومهم من أواسط آسيا في القرن الأول الميلادي، ومحاولة استقرارهم على مقربة من بحر قزوين، ومدى اتساع هذا الموقع رويداً .. رويداً. حتى أصبحت دولة الخزر في القرن الثاني الميلادي لها وزنها السياسي، وتمتد من بحر قزوين شرقاً إلى الأسود غرباً، ومن آذربيجان وأرمينية وجورجيا جنوباً إلى روسيا شمالاً، كما أشارت الدراسة إلى تغير عاصمة الخزر حسب مقتضيات الظروف السياسية الخارجية والداخلية، فكانت بلانجر، ثم أصبحت سمندر، وأخيراً "إتيل"، وفي العصر الحديث "استراخان". كما أشارت الدراسة إلى ظهور الخزر على مسرح التاريخ، من خلال علاقاتهم بالهون والأترك الغربيين، والعلاقات الدولية بين الفرس واليونان تارة ثم الفرس والرومان، وكذلك الفرس والبيزنطيين. كما أوضحت الدراسة اعتناق الخزر لليهودية كدين رسمي؛ حيث اعتنقها الملك وحاشيته وقواده ووجهاء قومه، وكان الاعتناق سياسياً لا دينياً حتى لا ينحازوا إلى الشرق الإسلامي، ولا إلى الغرب البيزنطي المسيحي، بل حالوا أن تكون لهم شخصية سياسية مستقلة، من خلال تسييس الدين.

وأما المحور الثاني: فأوضح الواقع الاجتماعي لدولة يهود الخزر، فألقت الدراسة الضوء على أصل يهود الخزر، وأنهم من أبناء "يافث بن نوح" (عليه السلام)، وليسوا من أبناء سام؛ لخلع عباءة السامية التي يتشح بها اليهود الذين يرجعون في أصلهم إلى اشكناز الخزر، ولقد عبر "مناحم بيجن" عن مدى ضيقهم من معرفة الحقيقة بعد أن قرأ كتاب "كيسلر" حين قال: "قليلوا إنا خزر أو أى شئ آخر نحن هنا موجودون بقوتنا"، ثم تعرضت الدراسة لاشتقاقات اسم الخزر، سواء من ناحية الاصطلاح أو اللغة، ومدى التباين الكبير الذى يستفاد منه، إنه تعبير عن التبدى والتقل والترحال.

كذلك أوضحت الدراسة الجانب الأنثروبولوجى لليهود منذ بدايتهم، مروراً بالجيتو، ثم الشتات، حتى يهود الخزر، وأثبتت الدراسة عدم نقاء الجنس اليهودى، من خلال الصفات الجسدية وفصائل الدم، فهو جنس مهجن منذ البداية، كذلك أوضحت الدراسة أن فلسطين كانت ومازالت أرض غربة بالنسبة لليهود منذ عهدهم الأول، وحتى يهود اليوم، كما أشارت الدراسة لرسوم يهود الخزر، من حيث ثنائية حكمهم، وقيادة جيوشهم، ودفن موتاهم وغير ذلك.

أما المحور الثالث: فأوضح العلاقات المتعددة بين الخلافة الإسلامية ويهود الخزر فى العصر الراشدى، الذى اتسم بالزحف الإسلامى إلى منطقة الدربند والمناطق الحدودية، فهو اتصال سياسى، وفى العصر الأموى، حيث تطورت العلاقات فدخل المسلمون أرض الخزر، واستولوا على بلانجر

أولى عواصمهم، ثم فرضوا الجزية عليهم، فكان الصراع في أغلبه سياسى. بينما شهدت العلاقات في العصر العباسى جانباً اجتماعياً تمثل في الزواج، وجانباً ثقافياً تمثل في رحلة سلام الترجمان إلى يأجوج ومأجوج، ثم أشارت الدراسة لانتهاء دولة يهود الخزر عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م) تمهيداً لسقوطها على أيدي المغول في القرن الثالث عشر الميلادى. وأخيراً... عرضت الدراسة لبعض النتائج.

ولقد اتبعت المنهج التحليلى للنصوص، واستنبطت المعلومات من بين السطور، ومقارنتها للوقوف على بواطن الخطأ، واعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر الإسلامية الأصلية: (كابن رسته، والإصطخرى، وابن فضلان، واليعقوبى، والبلاذرى، وابن خرداذبة، وابن حوقل، والطبرى، وابن الأثير، والمقدسى، والكرديزى). وكذلك: (دنلوب، وكيستلر، ودائرة المعارف اليهودية، وأبا إيبان، والعديد من مواقع المعلومات على شبكة الإنترنت).

وبعد... فهذه محاولة لإضافة كلمة أو سطر فى تاريخ الخزر وعلاقتهم بالمسلمين، فإن وُفقت فمن عند الله، وإن أخفقت فمن نفسى.

المحور الأول

الواقع السياسي لدولة يهود الخزر

أولاً- الموقع الجغرافي وأهميته.

ثانياً- ظهور الخزر على مسرح التاريخ.

ثالثاً- عقيدة الخزر.

المحور الأول

الواقع السياسي لدولة يهود الخزر

يتضمن الحديث هنا عن الواقع السياسي لدولة يهود الخزر، إلقاء الضوء على الموقع الجغرافي وأهميته، وظهور الخزر على مسرح التاريخ، وعقيدة الخزر، وإن كان من الواجب وضع العقيدة في الجانب الاجتماعي إلا أن "الخزر" قصدوا بها سياسة أكثر من كونها ديناً، وعلى هذا الأساس جاء مكانها تحت الواقع السياسي.

أولاً- الموقع الجغرافي وأهميته:

يقول "كوستلر Koestler": "شغلت بلاد الخزر وهم شعب من أصل تركي - موقعاً إستراتيجياً رئيسياً في المدخل الحيوى بين البحر الأسود وبحر قزوين، حيث وقفت القوات الشرقية العظمى في ذلك العصر وجهاً لوجه، وكانت بلاد الخزر بمثابة حاجز حمى بيزنطة ضد غارات قبائل البرابرة الأشداء أهل السهوب الشمالية، من بلغار ومجريين وبتشنج.. الخ - ثم الفينكج والروس فيما بعد. إلا أنه بالمثل ويقدر أهم، سواء من الناحية الدبلوماسية البيزنطية أو التاريخ الأوربي، كانت هناك الحقيقة بأن جيوش

الخزر وقفت سدًا منيعًا ضد زحف جحافل^(*) العرب فى أطواره الأولى الساحقة^(*)، وبالتالي حالت دون استيلاء المسلمين على أوربا الشرقية.

وبهذه الكلمات البسيطة أوضح "كيسلر" أهمية وحيوية موقع بلاد الخزر بين بحرى قزوين والأسود، فمن الناحية الجغرافية وفر هذا الموقع الحماية للدولة البيزنطية من غارات البرابرة والفيكنج والروس، كما حمى أوربا الشرقية من الغزوات الإسلامية المتتالية، ومن الناحية الحيوية وإن لم يوضحها "كيسلر" فقد كان هذا الموقع بمثابة المعبر بين الشرق والغرب، سواء للجنس البشرى أو المظاهر الاجتماعية أو للتبادل التجارى أو لعبور الثقافات..

ولأن البنية قد تكون فى بعض الأحيان خرساء، ولكنها تتطرق من خلال الإنسان، وربما تكون الجغرافيا صماء؛ لكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها، ولقد قيل بحق إن التاريخ ظل الإنسان على الأرض، بمثل ما أن الجغرافيا ظل الأرض على الزمان. بينما يضيف قول آخر "إن معظم التاريخ إن لم يكن جغرافية متحركة Moving Geography، فإن بعضه على الأقل جغرافية متحركة In Disguise".

انطلاقًا من هذه العبارة التى نطق بها الدكتور "جمال حمدان"، فإننا سنعرض لآراء الجغرافيين المسلمين عن موقع بلاد الخزر وأهميته، بادئين "بابن خرداذبة" ت ٣٠٠هـ/٩١٢م تقريبًا، ذلك الجغرافى الكبير إذ يقول تحت

(*) جحافل - الساحقة: تقتضى الأمانة العلمية نقل النص كما هو، وإن كانت روح التعصب واضحة فى الكلمتين المذكورتين.

عنوان "الطريق بين جرجان وخليج - مدينة الخزر، من جرجان إلى خليج وهي على شفير النهر الذي يجئ من بلاد الصقالبة، ويصب في بحر جرجان، في البحر إذا طابت الرياح ثمانية أيام، ومدن الخزر: خليج وبلنجر والبيضاء. ويؤيد كلامه بيت من الشعر للبحثري، إذ يقول:

شرف تزيد بالعراق إلى الذي

عهدوه في خليج أو ببلنجر

وهكذا أعمل "ابن خرداذبه" عقله، فاعتمد على ملاحظته الدقيقة لمدى تأثير الرياح على السفن عند تحديد المسافات بين بعض بلدان الخزر، كما اعتمد على الشعر كمصدر من مصادر معلوماته فيما رواه عن البحثري عند ذكره خليج وبلنجر.

وعلى صعيد آخر نرى "ابن خرداذبه" يورد بعض كور وبلاد الخزر، مثل: الرآن، وجردان، والسيجان؛ لذلك يعد "ابن خردابه" من أقدم الجغرافيين المسلمين الذين أشاروا إلى تلك البلاد، وفي هذا السياق لا يفوتنا أن يقول: إن النهر الذي أورده "ابن خرداذبه" هو نهر إتل أو آيدل "الفلوجا"، والبحر هو بحر قزوين.

ويأتى "ابن رسته" بعد عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م؛ ليلقى قبساً من الضوء على بلاد الخزر، فيقول: بلاد الخزر بلاد غريضة، يتصل بإحدى جنباتها جبل عظيم، وهو الجبل الذي نزل في أقصاه طولاس ولوغر، ويمد هذا

الجبل إلى بلاد تفليس. وعلى هذا الأساس تكون بلاد الخزر قد امتدت إلى تفليس ببلاد الكرج سابقاً "جورجيا" حالياً، والجبل العظيم المقصود هو جبال القوقاز. كما يذكر "ابن رسته" من مدن الخزر سار عشن وهب نلع أو حبلنع.

وتبدو المشكلة بين ما ذكره "الكرديزي" (٤٤٢-٤٤٣م)، وما ذكره "ابن رسته"، حيث قال "الكرديزي": "وولاية الخزر واسعة الأرجاء على جانبها جبل عظيم، ويمتد من هذا الجبل حتى تفليس".

ويذكر "الكرديزي" في موضع آخر، أن لهم مدينتان عظيمتان: إحداهما سار عشن، والأخرى اختلع. وبالتالي يتأكد مدى وجه المقاربة بتصنيف طفيف بين ما أورده كل من "رسته والكرديزي".

ويذكر "ابن فضلان" رسول الخليفة "المقتدر بالله العباسي" (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) إلى بلاد الصقالبة عام (٣٠٩هـ/٩٢١م) نذراً يسيراً عن بلاد الخزر، مع أنه كان على مقربة منها، إذ وصل إلى مدينة "إتل" على مصب نهر الفلجا، فيقول: "ولملك الخزر مدينة عظيمة على نهر "إتل"، وهي جانبان في أحد الجانبين المسلمون، وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه". وبذلك تعد معلومات "ابن فضلان" عن الخزر معلومات يسيرة جداً، مع أنه أسهب من قبل عند ذكره الصقالبة والروس وغيرهم. ولا ندرى ما سبب ذلك، هل هو عدم وصول "ابن فضلان" إلى تلك البلاد، أو أن هناك سبباً آخر. مما حدى "بكر الشوفسكي" أن يتجاهل أية إشارة إلى بلاد الخزر عند حديثه عن "ابن فضلان".

بيد أن "الإصطخرى" يتحدث عن الخزر بشئ من التفصيل، فيقول: "وأما الخزر فإنه اسم الإقليم وقصبته تسمى "إتل"، وإتل اسم النهر الذى يجرى إليه من الروس وبلغار، وإتل قطعتان: قطعة على غربى هذا النهر المسمى "إتل" وهى أكبرهما، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن فى الغربى منهما، ويسمى الملك باسم "بك" ويسمى أيضاً "باك"، وهذه القطعة مقدارها فى الطول نحو فرسخ، ويحيط بها سور، إلا أنه مفترش البناء وأبنيته خراكاهات لبود، إلا شيئاً يسيراً بنى من طين ولهم أسواق وحمامات".

وهكذا أورد الإصطخرى بعض التفاصيل عن بلاد الخزر كمدينة "إتل" قصبة بلادهم، ومساحة القسم الغربى منها، الذى قدر بنحو فرسخ والسور الذى كان يحيطها، كما أشار إلى نهر إتل، ولتلك الشعوب المجاورة للخزر، فضلاً عن نكره أبنيتهم من خيام غطيت بلبود ومبان من طين. مما يوضح أن هناك جزءاً من السكان كان مستقراً، والآخر كان يتخذ من التنقل والترحال وسيلة للمعيشة. وينقل "ابن حوقل" نص الإصطخرى تقريباً مخالفاً إياه فقط فى تحديد اسم المدينة الغربية من إتل، وهى "خزران" والشرقية إتل.

ويقول "المسعودى" (ت، ٣٤٦هـ) عند حديثه عن مملكة جيدان: ويبادى أهل الباب والأبواب مملكة يقال لها جيدان، وهذه الأمة داخلة فى جملة ملوك الخزر، وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها "سمندر"، وهى اليوم يسكنها خلق من الخزر، وذلك أنها افتتحت فى بدء الزمان افتتحها "مسلمان بن ربيعة الباهلى"، فانتقل الملك

عنها إلى مدينة "آمل"، وبينها وبين الأولى سبعة أيام، و"آمل" التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعلى بلاد الترك، ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز، وتنصب في بحر مايطس وهذه المدينة جانبان، وفي وسط هذا النهر جزيرة فيها دار الملك، وقصر الملك يتوسط هذه الجزيرة وبها جسر إلى أحد الجانبين من سفن، وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية".

وهكذا ألقى "المسعودي" ضوءاً على تلك البلاد، وعلى قربها من باب الأبواب، وعلى أن الملك كان يقيم بسمندر، ثم انتقل إلى آمل ولعلها [إتل] بعد افتتاحها على يد "سليمان بن ربيعة"، كما يشير "المسعودي" إلى نسيج السكان الذي تكون من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية.

وبنظرة أكثر دقة وتركيز، يقول "المقدسي" عند حديثه عن بلاد "الدليم": "وأما الخزر فإنها كورة واسعة خلف البحيرة قشفه كربه، كثير الأغنام والعسل، واليهود بأخرها سد يأجوج ومأجوج، وعلى تخومها بلدان الروم وبها نهران أكثر مدنهم عليها يقلبان في البحيرة، وعلى تخومها من قبل جرجان جبل "بنقشلة" وقصبتها إتل، ومن مدنها بلغار وسمندر وسوار وبغند وقيشوى وخمليج وبلنجر والبيضاء".

وهي نظرة أكثر دقة وشمولاً وتركيزاً، تضمنت مواقع مكانية وملامح عمرانية وبيئية واجتماعية، كما أشار المقدسي إلى بعض

الحيوانات، وكذلك مواد الطعام، فضلاً عن ملاحظته للعقيدة اليهودية. ويقوم "الإصطخري" ^(٣١) بمهمة عامل المساحة فيحدد المسافات بين بلدان الخزر وجيرانهم، فيقول: "من أبسكون ^(٣٢) إلى دهستان ^(٣٣) ستة مراحل، ويقطع هذا البحر إذا طابت الرياح عرضاً من "طبرستان" إلى باب الأبواب في أسبوع، وأما من أبسكون إلى بلاد الخزر، فإنه زائد على العرض لأنه مزوى، ومن إتل إلى سمندر ثمانية أيام، ومن سمندر إلى باب الأبواب ثلاثة أيام، ومن إتل إلى أول حد برطاس ^(٣٤) مسيرة عشرين يوماً، ومن أول برطاس إلى آخره نحو خمسة عشر يوماً، ومن برطاس إلى بجنك نحو عشر مراحل، ومن إتل إلى بجنك مسيرة شهر، ومن إتل إلى بلغار عن طريق المفازة نحو شهر، وفي الماء نحو شهرين في الصعود، وفي الحدود نحو عشرين يوماً، ومن بلغار إلى أول حد الروم نحو عشر مراحل، ومن بلغار إلى كويابه نحو عشرين مرحلة، ومن بجنك إلى بسجرت الداخل عشرة أيام، ومن بسجرت الداخل إلى بلغار خمس وعشرون مرحلة".

وهكذا حدد "الإصطخري" بدقة المسافات بين بلدان الخزر وجيرانهم، كما ذكر بعض الشعوب المجاورة، كالبنجناك والروم (البيزنطيون) والبلغار، فضلاً عن ملاحظته الدقيقة لحركة السفن في بحر قزوين سواء ضد الرياح أو معه، وجعل محور كلامه على مدينة إتل. مما يؤكد دورها المهم في كونها قضية البلاد أو عاصمتها، وذكر إلى جانبها أبسكون وبرطاس وكويابه وسمندر وباب الأبواب وغيره.

وعنه نقل "ابن حوقل" (٣٥) مع اختلاف طفيف، حين قال: ومن سمندر إلى باب الأبواب أربعة أيام، بينما ذكرها "الإصطخري" ثلاثة أيام في النص السابق، كذلك قال "ابن حوقل" بشجرت (٣٦). بينما ذكرها الإصطخري بشجرت، وضبطها ياقوت (٣٧) بأشغرد، وكذلك ابن فضلان (٣٨).

ونختم تلك المصادر الإسلامية بقول ياقوت (٣٩) عن بلاد الخزر، إنها بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدريند قريب من سد ذى القرنين. تلك إشارة موجزة عن موقع بلاد الخزر، وأبرز مدنها وبعض جيرانهم، وشذرات من أخبارهم أمدتنا بها أهم المصادر الإسلامية التي ألقت الضوء على بعض تاريخهم.

به نخرج بعد على بعض المراجع الأجنبية التي ألمحت إليهم:

تذكر "دائرة المعارف اليهودية"، أن "مملكة الخزر تأسست بشكل أساسي في معظم مناطق جنوب روسيا قبل فترة طويلة من تأسيس المملكة الروسية نفسها، وقد عاش اليهود على شواطئ البحر الأسود وبحر قزوين منذ تلك الفترة، وهذا دليل على أن منطقة بحر "أرال" كانت وطنًا لليهود الخزر" (٤٠). وهكذا أشارت إلى أن بلاد الخزر تقع في المنطقة الممتدة بين بحري قزوين والأسود، إضافة إلى منطقة بحر أرال دلالة على اتساعها.

ويرى "ف. بارثولد W. Barthold" أن بلاد الخزر تشترك في حدودها الجنوبية الغربية مع داعستان ومع بلاد الخلافة الإسلامية، وهناك كانت تحدث

المصادمات العسكرية، التي ألجأت خواقين الخزر إلى ترك عاصمتهم القديمة بداغستان، وتأسيس عاصمة جديدة على مصب نهر آيل (القولجا) ^(٤١).

وهنا يشير "بارتولد" إلى أن الخزر أسسوا عاصمتهم على مصب نهر القولجا، أي على ساحل بحر قزوين. وعند حديثه عن "البلاغار" يقول بارتولد: لم ينقل أمراء الخزر مقر حكمهم من سهوب القوقاز الشمالية إلى المجرى الأدنى لنهر "إتل" ^(٤٢)، إلا بعد نضالهم الفاشل مع العرب في بداية القرن الثالث للهجرة بعد عام (٧٢٠م)، ويشير إلى أن بلادهم كانت جزءاً من مملكة الترك البدوية العظيمة في السهوب الشرقية لأوربا. بما في ذلك حوض نهر "إتل". أي أنها كانت عاصمة للخزر قبل إتل في سهوب القوقاز وهي سمندر كما قال بذلك المسعودي في مروج، ومع موجات الفتح العربي تراجع الخزر إلى إتل عند مصب نهر الفلجا في بحر قزوين، ويربط بارتولد في كلامه، وهو متخصص في تاريخ الترك بين الخزر وبين مملكة الترك البدوية في السهوب الشرقية لأوربا.

ويشير السير "ت. و. آرنولد Sir T. W. Arnold" إلى وصول يهود الخزر إلى بحر قزوين، ويقرب "أبا إيبان" Abba Eban وزير خارجية إسرائيل الأسبق من وجهة نظره دائرة المعارف اليهودية، فيذكر: أنه في القرن الخامس الميلادي كانت هناك هجرة للقبائل التركية، وقد استقرت إحداها إلى غربت بالخزر على بحر قزوين. وهنا يشير "أبا إيبان" إلى أصل الخزر التركي، فضلاً عن إشارته لموقع بلادهم على بحر قزوين.

وكان "دانلوب" وجهة نظر أيضًا في بلاد الخزر وموقعها. إذ يقول:
 إن أراضي الخزر كانت في مجرى نهر الفولجا الأدنى، والسفوح الشمالية
 لجبال القوقاز، وامتدت إلى الأراضي القائمة حول بحر أزوف، وفي القرن
 التاسع الميلادي امتدت إلى ما وراء غرب مدينة كييف، ووسط نهر
 "الدينبير" بل وامتد نفوذهم حتى نهر "جيجون" Oxus، وقد وقعت بلاد
 الخزر بذلك عبر الخط الطبيعي للتوسع العربي. وهكذا زاد "دانلوب" من
 رقعة بلاد الخزر حتى امتدت إلى بحر أزوف غربًا على البحر الأسود،
 وإلى مدينة كييف بروسيا في الشمال، وإلى وسط نهر الدينبير في الشمال
 الغربي، بل وامتدت إلى بلاد ما وراء النهر Transoxania حتى نهر
 "جيجون" بولاية أوزبكستان الحالية.

وينقل "محمد عبد الشافي" المغربي عند "دانلوب" وجهة نظره في
 موقع بلاد الخزر، ويضيف: أن عاصمة الخزر كانت على مقربة من
 استراخان الحالية، وقد أطلق عليها من قبل "بلاند شار" Bland Shar،
 وتمتد من جنوب روسيا حتى غرب أوروبا.

ويؤكد "محمود شيت خطاب" استقرار الخزر في المنطقة التي تقع
 خلف مدينة باب الأبواب على الساحل الشمالي الغربي من بحر قزوين
 بالقرب من مصب نهر الفولجا، والتي تعرف ببلاد الخزر وتمتد حتى جبال
 القوقاز من جهة وإلى إقليم خوارزم من جهة أخرى.

وتبقى الإشارة أن بيوت الخزر قد شيدت على شكل دائرى، وقد غاصت فى الأرض بحكم عامل الزمن، ويقول علماء الآثار السوفيت، أن هذه البيوت كانت منتشرة فى جميع الأقاليم التى عاش فيها الخزر، وأنها تعد مرحلة سابقة لمبانيم المستطيلة الشكل، ويبدو أن البيوت الدائرية كانت ترمز إلى مرحلة الانتقال من خيام قبائية الشكل، يسهل حملها إلى مساكن دائمة، أى الانتقال من البداوة إلى ما يمكن تسميته شبه استقرار.

ويؤكد "ابن رسته" هذه الرؤية، فيقول: ومدينتهم سار عشن وبها مدينة أخرى يقال لها هب نلغ أو حبلنغ، ومقام أهلها فى الشتاء فى هاتين المدينتين، فإذا كان أيام الربيع خرجوا إلى الصحارى، فلم يزلوا بها إلى إقبال الشتاء.

ويقول "كيسلتر": وقد أثبتت الحفائر أن المملكة فى عهدها الأخير كانت محاطة بسلسلة محكمة من الحصون، التى يرجع تاريخها إلى القرن الثامن والقرن التاسع الميلادى، وقد حمت حدودها الشمالية المواجهة للسهوب المفتوحة، حيث شكلت هذه الحصون قوساً نصف دائرى تقريباً، يمتد من القرم عبر السهول المنبسطة أدنى نهري الدونتر والرون إلى نهر الفولجا، على حين حمتها من الجنوب جبال القوقاز ومن الغرب البحر الأسود ومن الشرق بحر الخزر أى قزوین.

وقد بسط الخزر وهم في مجدهم ونفوذهم على ثلاثين عشيرة وقبيلة تسكن في الأقليم الواقعة بين القوقاز وبحر أرال، وجبال أورال ومدينة كيف والسهول الأوكرانية؛ مما يدل على اتساع رقعة بلاد الخزر جغرافيًا وسياسيًا، وبمتابعة الأطلس في العصر الحديث، يمكن القول إن بلاد الخزر يحدها شرقًا بحر قزوين وولاية قازخستان، وغربًا أوكرانيا، وجنوبًا أنريجان وأرمينيا وجورجيا، وشمالًا روسيا، وأهم مدنها الحالية استراخان. تلك إشارة سريعة إلى موقع بلاد الخزر وأهميته، وأبرز مدنها ومناطق نفوذهم؛ لننتقل بعد ذلك إلى إلقاء الضوء على ظهور الخزر على مسرح التاريخ.

ثانيًا - ظهور الخزر على مسرح التاريخ:

ذكر "كوستلر Koestler" أن اسم "الخزر" ظهر لأول مرة كشعب من الشعوب التي قطنت منطقة القوقاز، من خلال حولية سريانية كتبها "زكريا ريتور Rhtor" ترجع إلى منتصف القرن السادس الميلادي، وتشير إلى بعض المصادر التاريخية إلى أنهم ظهروا على مسرح الحياة قبل ذلك بقرن من الزمان، وكانوا على صلة "باليون"، حيث أرسل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني عام (٤٤٨م) سفارة إلى "اتيلا" ملك الهون، فكان من بين أفرادها "بريسكس Priscus"، ذلك الخطيب الفصيح الذي لم

يكن حريصًا على تدوين المفاوضات الدبلوماسية بين الطرفين فحسب، وإنما - أيضًا - تدوين المؤامرات التي كان بلاط "اتيلا" يحيكها ضد البيزنطيين.

وقد تحدث "بريسكس" هذا عن شعب خضع للهون عرف باسم "أكاتزير"، وهم على الأرجح آك - خزر (آق - خزر) أى الخزر البيض، تمييزًا لهم عن الخزر السود. كآرا خزر (قارا - خزر)، ولم يفت "الإصطخرى" هذا التمييز، حين قال: الخزر لا يشبهون الأتراك وهم سود الشعر، وهم صنفان: صنف يسمون قرا خزر وهم سمر يضربون لشدة السمرة إلى السواد كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهر الحسن والجمال. وإن لم يذكر "الإصطخرى" اسم الصنف الثانى، فهو قياسًا على الأول يكون (آن - خزر) الخزر البيض، الذى وصفهم "ابن رسته" بالحسن والجمال، كما قال بذلك "ابن حوقل وياقوت".

ومما يجدر ذكره أن الإمبراطور البيزنطى "ثيودوسيوس الثانى" حاول أن يكسب شعب الخزر المحارب إلى جانبه ضد سطوة الهون، على رواية "بريسكس"، لكن "كاريداخ" - رئيس الخزر - طلب مزيدًا من المقابل، وانضم إلى جانب "الهون"؛ لتحقيق بعض الأطماع الشخصية، فلما انتصر "اتيلا" على مناوئيه، ومناوى "كاريداخ" نصب "كاريداخ" حاكمًا "لأكاتزير"، وزيادة فى حسن العلاقات بين الطرفين دعاه "اتيلا" لزيارة بلاطه. وفى اللقاء الذى تم بينهما جرت محاوره، أظهرت خلالها الثانى مدحًا وإطراءً "للاتيلا" وشبهه بالإله، بل قال أنه أعظم الآلهة، فاغتبط عندئذ "اتيلا" بهذا

المدح والإطراء، وثبت "كاريداخ" في حكمه. هكذا تشير حولية "بريسكس" إلى أن ظهور الخزر على مسرح التاريخ الأوربي يرجع إلى منتصف القرن الخامس الميلادي.

ويذكر "دنبلوب" فيما رواه عن "ميخائيل السوري وابن العبري": أن أخوة ثلاثة في عهد الإمبراطور البيزنطي "موريس" (٥٨٢-٦٠٢م) قاموا بالزحف من سيز الداخلية Inner Sythia باتجاه الغرب مع جيش قوامه ثلاثون ألف رجل، وعندما وصلوا إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية، عبر واحد منهم واسمه "بلغاريوس" ذكره "ابن العبري" "بلغاريس" - نهر الدون، واستقر داخل الإمبراطورية، أما الآخران فقد احتلوا بلاد "اللان" التي تدعى باسم "برساليا Barsalia" وإن هؤلاء مع السكان الأصليين تبنا اسم الخزر نسبة إلى "كزريخ" أكبر الأخوين سنًا، وقد روى ذلك "يحي الأفسوسي John of Ephesus" ت. حوالي (٥٨٦م)، فهو معاصر للحدث، وتشير روايته إلى أن الخزر قدموا بلاد القوقاز من آسيا الوسطى حوالي منتصف القرن السادس الميلادي.

ويشير "بارتولد" إلى الرواية ذاتها، ولكن بتصنيف ملحوظ، فيذكر أنهما أخوان وليسوا ثلاثة، وهما "بلغاريوز Bulgharioz" و"خزريج Khazarig"، هما اللذان نشأ البلغار والخزر من صلبهما. مما يدل على صلة القرابة بين الشعبين البلغاري والخزري، ولقد اتفق "الإصطخري" مع "بارتولد" في هذه الرؤية بيد أنه خالفه في جزئية، وهي أن بارتولد جعل القرابة تعتمد

على صلة الدم، "قبلغاريوز وخزريج" أخرن، بينما جعل "الإصطخرى" القرابة تقوم على اللغة، حيث قال: "ولسان بلغار مثل لسان الخزر".

ويذكر "نلوب" أن هجرة لبعض النازحين من آسيا إلى أوربا، شملت قبائل: "تارنياخ" Tarniakh، كوتزاغير Kotzagero، وزيندر Zabender، ولعل وجه الشبه واضحاً بين اسمي زيندر-سمندر، التي كانت مدينة خزرية. وعلى ذلك يكون الخزر قد وصلوا إلى أدرنة الشرقية أثناء حكم الإمبراطور البيزنطى "موريس" بعد احتكاكهم من قبل بالأتراك الغربيين.

ويذكر "كيسلر" أنه بعد انهيار إمبراطورية "الهون" ووفاء "إتيلا" اندفعت جماعات متعددة من الهجرات، كالأجور والآفار فى الوقت الذى كان فيه "الخزر" يغزون جورجيا وأرمينيا، وأصبحوا خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى السلطة المهيمنة من بين قبائل شمال القوقاز على المنطقة، حتى لم يعد هناك نكر لقبائل السابير، والساراجور، والسامندر، والبلانجار. إذ أخضعهم الخزر لحكمهم، وبالرغم من مقاومة البلغار العنيفة لنفوذ الخزر، إلا أنهم لاقوا المصير نفسه على إثر هزيمتهم عام (٦٤١م) وانشطروا نصفين "بلغار الدانوب"، و"بلغار الفولجا".

وتجدر الإشارة إلى أن "الخزر" قد مارسوا الحكم من خلال الأتراك الغربيين سابقاً، تحت قيادة "الخاقان" الذى أصبح لقبه هو نفس لقب ملك الخزر، فيما بعد .. هذا وقد عاشت دولة الأتراك الغربيين حوالى قرناً من

الزمان من عام (٥٥٠م) حتى (٦٥٠م)، ثم تفككت وانزوت من التاريخ. وبالتالي يكون "الخزر" قد خضعوا لنفوذ "الهون" قبل الأتراك الغربيين، وعندما انتهت دولة الأتراك الغربيين في منتصف القرن السابع الميلادي حل "الخزر" محلهم في حكم مملكة الشمال. وإذا كان تاريخ "الخزر" لا يمكن معرفته بمعزل عن التاريخ الفارسي والبيزنطي؛ لما لهم من علاقات مشتركة نحاول أن نظهر جوانبها في المطالب التالي.

إذ يذكر "اليقوبى" أن "أردشير بن بابك" أول ملوك الفرس المتمجسة زحف بقواته حتى وصل إلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، أى أن الفرس احتكوا ببعض ممتلكات الخزر بأرمينية. ومن خلال الصراع بين الفرس والبيزنطيين يحدثنا "الطبرى" عن قيام "إليانوس" الإمبراطور البيزنطي بجمع جموع من الروم الخزر، ومن كان فى ملكه من العرب فى قتال الملك الفارسي "سابور بن أردشير"، وبالطبع "إليانوس" هذا هو "جوليان" ابن عم "قسطنطينوس".

ويؤكد "ستيفن رنسيمن" أن "جوليان" حاول غزو بلاد فارس وأمعن فى زحفه، ولكنه عند عودته لقي حتفه فى صيف عام (٣٦٣م)، أى أن للخزر ذكر منذ منتصف القرن الرابع الميلادي. وقد أكد "اليقوبى" هذا الصراع فذكر: أن "سابور" غزاه ملك الروم وهو "إليانوس"، فأعانته العرب من جميع القبائل دون أن يشير إلى دور "الخزر" فى هذا الصراع.

وذكر "اليقوبى" بعض العلاقات العدائية بين الفرس والترك، وربما قصد بالترك "الخزر"، فيذكر أن ملك الفرس "يزدجرد بن سابور" بعد موته خلفه ابنه "بهرام جور بن يزجرد"، وكان منشاعلاً عن الرعية محباً للصيد واللهو فطمع فيه الترك، واعترم "خاقان" السير بجيوشه تجاهه، وعندئذ هب "بهرام" لمواجهة قوات "خاقان" ونجح في صد هذا الهجوم الذى راح ملك الترك ضحية له. ومع أن "اليقوبى" لم يصرح باسم "الخزر"، فإن سير الأحداث يوضح أنهم هم المقصودون من كلامه، يقول: أنه بعد وفاة "بهرام جور" ملك الفرس خلفه ولده "يزدجرد"، وكان له ابنان أحدهما "هرمز" والآخر "فيروز"، فملك الأول بعد أبيه، وهرب الثانى إلى بلاد "الهياطلة" بحثاً عن تأييد ملكها بعد أن قص عليه الموقف، فأمدته ملك الهياطلة ببعض قواته فعاد "فيروز" مقاتلاً أخاه وجنده حتى تخلص منه وارتقى الحكم بدلاً منه. ولعل "الهياطلة" الوارد ذكرهم كانوا إلى جوار "الخزر" فى منطقة حساسة تُعد فى مفرق بين الشرق والغرب؛ لذا لا نستبعد توجيه أنظار الفرس إليها، كما سيؤيد ذلك ما يأتى من أحداث.

فبعد وصول "فيروز" إلى الحكم، اتجه إلى بلاد الترك فى محاولة لتوسيع نفوذه، وحاول ملك الترك آنذاك منعه من ذلك مذكراً إياه بالصلح المبرم بينهما من قبل؛ لكنه لم يستجيب لنداء ملك الترك، فاستعد ملك الترك لذلك بخدعة حربية، إذ حفر خندقاً عميقاً وغطاه بطريقة تخفيه عن الأعين، فلما اقتحمه "فيروز" سقط وجنده فيه، وغنم الترك ما معهم وراح فيروز

ومن معه ضحية هذا الصنيع. ويمكن أن ننظر إلى هذه الرواية من وجهة نظر نقدية، إذ ليس من المنطق أن يكون الخندق قد استوعب فيروز وجنده معاً، ولو كان ذلك لحفر ملك الترك خندقاً كبيراً جداً حتى يتناسب مع عدد قوات "فيروز"، ولو حدث ذلك فمن المنطق أيضاً أن يكون الفرس على علم به، فيأخذون حذرهم، ولكن المقبول أن يكون فيروز وكوكبة من الجند أو بعض خاصته هم الذين لقوا حتفهم، وبالطبع فقد القائد وخاصته يفت في عضد الجيش، فالهزيمة معنوية أكثر منها حربية.

ويربط "الكرديزي" (٤٤٢، ٤٤٣ م) أول ظهور للخزر بأيام الملك الفارسي "يزدجرد بن بهرام"، حينما قام ببناء حائط بين أرمينية والخزر حتى باب الأبواب؛ لكنه توفي دون استكمالها، مما يدل على أن نفوذ الخزر قد ازداد مهدداً الفرس، مما حدا "بيزدجرد" إلى تأمين حدود مملكته.

ويؤكد ذلك "ابن العبري" حين قال: ولما فرغ الإسكندر من بناء سد "يأجوج ومأجوج" إلى موضع السد الأعظم، وهو المكان الذي يعرف بالباب والأبواب في مروج بلدان القفقاق، فحفر موضع الأساس ومدة في الجبال حتى ألحقه بحر الروم، فلم تنزل ملوك فارس في طلب هذا الأساس فتجشموا معرة الترك والخزر من بلاد العراق والجبل وأذربيجان وأران وأرمينية، حتى وجد الأساس "يزدجرد بن بهرام جور بن بهرام بن يزدجرد بن سابور"، فابتدأ ببناء السد من حجارة ونحاس ورصاص ولم يتممه.

ويوضح "ابن العبري" أهمية هذا العمل، فبعد حديثه عن جهد "يزدجرد" في البحث عن أساس السد الأعظم المعروف بالباب والأبواب، ويقول: وكان أكثرهم ملوك الفرس بعده في بنائه، فما تم لهم الفراغ منه حتى سهل الله ذلك على يد "كسرى أنوشروان"، فأحكم بنائه وألصقه برعوس الجبال، ثم مده في البحر على ميل، ثم غلق عليه أبواب الحديد، وأقام على بنائه سنة وأكثر، فسار يحرصه مائة رجل بعد أن لم تكن تطيقه مائة ألف رجل من الجند، وأذن "بالمرزيان" الذي يقيم هناك بالجلوس على سرير الذهب، ولذلك يسمى ملك تلك الناحية بملك السرير.

وهكذا أوضح "ابن العبري" أهمية موقع السد في حماية بلاد فارس من خطورة نفوذ الخزر وغيرهم، وبعد السد تعبيراً عن زيادة نفوذه تجاه "الخزر" أيضاً، وعلى صعيد آخر أوضح بناء سد باب الأبواب سمة من التطور، فلشدة استحكاماته انخفض عدد حراسه من مائة ألف إلى مائة فقط، وهذا تخفيض هائل لعدد الجنود، يمكن استخدامهم في الأغراض القتالية الأخرى، وفضلاً عن ذلك أصبح هناك حاكم لتلك الناحية أطلق عليه ملك السرير.

ولأهمية منطقة القوقاز على وجه العموم، فإن "كسرى الأول" نصب ملوكاً تابعين له فيها على رواية "كريستسن"، وبالطبع استناد "كريستسن" في هذه الرواية. مما أورده "البلانري" حين قال: وملك "أنوشروان" ملوكاً رتبهم وجعل لكل أمرئ منهم شاهية وناحية، فمنهم "خاقان الجبل" وهو صاحب السرير، ويدعى "وهرارزانشاه"، ومنهم ملك "قيلان شاه"، ومنهم

"طبراسرانشاه"، وملك الكنز ويدعى "برششان شاه"، وملك ليران ويدعى "ليران شاه"، وملك شروان ويدعى "شروانشاه"، وملك صاحب بخ على بخ، وصاحب زريكران عليها، وأقرّ ملوك جبل القبق على ممالكهم، وصالحهم على الإتاوة، فلم تزل أرمينية فى أيدى الفرس حتى ظهر الإسلام، فرفض كثير من السياسيين حصونهم، ومدائنهم حتى خربت وغلب الخزر والروم على ما كان فى أيديهم.

وللتعرف على أهمية الخزر عند الفرس، يذكر "كوستلر Koestler" أن الملك الفارسى "كسرى أنوشروان" كان له ثلاثة عروش ذهبية فى بلاطه خصصها لكل من: "إمبراطور بيزنطة، وإمبراطور الصين، وإمبراطور الخزر"، بالرغم من عدم زيارة أى منهم بلاد الفرس، وسواء صحت هذه الرواية أم لا تصح، فإنها تعبر عن تطلع ملك الفرس لاحتواء تلك القوى، ومما يعضد هذه الرواية ما دونه الإمبراطور "قسطنطين يورفور جنتوس" عن الخاتم الثلاثى الذهبى الذى خصصه مكتب المحفوظات الإمبراطورية للرسائل الموجهة إلى حاكم الخزر. ويستفاد من ذلك أن دولة "الخزر" أصبحت فى مصاف الدول الكبرى، بدليل مساواة الرواية بين حاكمها وحاكمى بيزنطية والصين فى لفظة إمبراطور.

ولأجل هذا وللخوف من المستقبل لم يتوان الفرس فى مقاومة نفوذ الخزر، فيقول "اليقوبى": وكانت الخزر المتغلبة على عامة بلاد أرمينية، وعليها ملك يقال له "خاقان"، وله خليفة يقال له "يزيد بلاش" على الران

وجرزان والبسفرجان والسييجان، وكانت هذه الكورة تسمى أرمينية الرابعة، التي افتتحها قباد بن ملك الفرس، فصارت إلى أنوشروان إلى باب اللان مائة فرسخ، وفيها ثلاثمائة وستون مدينة.

ويفصل "الطبري" الصراع المتكرر بين ملك الفرس وهرقل إمبراطور الروم، وأثر ذلك على الخزر، فيقول: بعد أن سار كسرى جنوب أنطاكية، واستولى على بعض ممتلكات هرقل، اضطر الأخير إلى دفع فدية له، ثم عرج "كسرى أنوشروان" على بلاد الخزر مهدداً إياها؛ لكن "هرقل" لم يقف مكتوف الأيدي، فذكر "كريستسن" أنه أوقف آخر الأمر الزحف المظفر الذي قامت به جيوش الفرس، فاستعاد آسيا الصغرى، وتقدم طارداً جيوش كسرى من أرمينية وإذربيجان، واستولى عام (٦٢٣-٦٢٤م) على مدينة "جنزك Ganzak"، حيث ضرب بيت نار "آذر كشنسب"، فهرب منه كسرى حاملاً النار المقدسة.

ويبدو أن هذا النصر حفز الخزر، فقاموا في السنوات التالية بالاستيلاء على دربند وعقدوا حلفاً مع الإمبراطور؛ لكن سير الأحداث يشير إلى أن الخلف كان رغبة من الإمبراطور "هرقل" لما قدمه الخزر من عون صادق له في حربه ضد الفرس عام (٦٢٧م).

فيذكر "كوستلر Koestler" أن الخزر أمدوا "هرقل" بأربعين ألف فارس بقيادة "زبيل"، الذي تجرأ واغتر بقوته واتجه صوب تفليس ضارباً

حولها الحصار، وفي العام التالي (٦٢٨م) عاون الخزر "هرقل" واستولوا على تقليس عاصمة جورجيا مقتسمين غنائمها.

وقد صور "ثيوفانس" (٧٥٨-٨١٨م) هذا التحالف بين هرقل والخزر ضد الفرس والآفار، والذي نقل الخزر على أثره خيامهم من سهول نهر "الفلجا" إلى "جورجيا" والتقى بهم هرقل قرب تقليس، وخلع حينذاك الإمبراطور هرقل تاجه ووضع على رأس الأمير التركي "زبيل"، ثم حياة بعناق حار، معتبرا إياه أحد أبنائه، وبعد مأدبة أقامها له قدم إليه عددا من التحف والهدايا والمجوهرات، وأغراه هرقل بالزواج من ابنته الوحيدة "يودوكيا يودوشيا"، وعلى الفور أعان "زبيل" هرقل بأربعين ألف حصان، كما أهدى الإمبراطور ولده ليكون من خاصته مقابل الزواج الذي لم يتم لوفاة "زبيل" فيما بعد. ومن حولية أرمينية يذكر "كيسنر" في الحملة السابقة ضد فارس أن حاكم الخزر أصدر أمره إلى جميع القبائل والشعوب التي تحت حكمه، وسكان الجبال والسهوب، الذين يعيشون في بيوت أو في الهواء الطلق، والذين حلقوا رءوسهم وتركوا شعورهم طويلة، بالاستعداد لخصوم الحرب ضد الفرس على جانب الإمبراطور البيزنطي "هرقل" وذلك إشارة واضحة إلى التركيبة العرقية المتغايرة المختلفة العناصر التي تكونت منها دولة الخزر.

وهكذا نلمح ظهور الخزر على مسرح التاريخ، من خلال الصراع المتكرر بين الفرس والبيزنطيين، وقد برزت قوة الخزر من خلال هذا

الصراع فتحالف معهم هرقل؛ مما زاد من نفوذهم، فهاجموا بلاد فارس في عهد هرمز بين كسرى أنوشروان، حيث قال "اليقوبى": "وأقبل ملك الخزر فى جموع حتى نزل أنزبيجان"، دلالة على علو كعبهم الذى أكدده البلخى حين قال: "وملك هرمز بن كسرى أنوشروان، فجار وعسف، فزحف إليه الجيوش من النواحي الأربع: الروم، والترك والخزر، واليمن؛ مما يؤكد زيادة نفوذ الخزر، الذين كانوا على قدر المساواة مع البيزنطيين وغيرهم، من حيث تهديد الفرس، وبالطبع الاتفاق بينهم وبين البيزنطيين فى الهدف ضد فارس، جعل لهم مكانة لدى البيزنطيين، فيذكر "دنلوب" أن الرسائل التى كانت ترسل فى القرن العاشر الميلادى من القسطنطينية إلى خاقان ملك الخزر كانت تُمهر بخاتم ذهب أوسع وأرشق من أختام الرسائل المرسنة إلى بابا روما آنذاك وخلفاء شارلمان.

ويؤكد ذلك "كيسنلر" فيقول: "لعبت دولة الخزر وهى فى أوج سلطانها من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادى، دوراً مهماً فى تشكيل أقدار أوربا فى العصور الوسطى، وبالتالي فى العصور الحديثة، ولا بد أن الإمبراطور البيزنطى المؤرخ "قسطنطين بورفيرو جينيتيوس Constantine Porphyrog Gentius" (٩١٣-٩٥٩م)، وكان على بينة من هذا الأمر حين دون فى مؤلفه عن مراسم البلاط، أن الرسائل الموجهة إلى البابا فى روما، ومثلها تلك الموجهة إلى إمبراطور الغرب، كانت تحمل خاتماً ذهبياً ملحقاً بها قيمته صولدان، على حين كانت الرسائل الموجهة إلى

إمبراطور الخزر تحمل خاتماً ذهبياً قيمته ثلاث صلدات، ولم يكن ذلك بغية التملق، ولكن إقراراً للسياسة الواقعية Realpolitik. ولا ننسى أن الإمبراطور البيزنطي "ليو الرابع" (٧٧٥-٧٨٠م) المعروف "بالخزري" وهو ابن أميرة خزرية، تزوجت من الأمير البيزنطي قسطنطين الخامس "كبرينوموس Copronymus" (٧٤١-٧٧١م) كان نتاج هذه العلاقة.

وخلاصة القول: فإن السهوب الأوربية الشرقية كانت في القرن السادس الميلادي، بما في ذلك حوض نهر "إتيل" تابعة للمملكة التركية البدوية، وكان هذا شأن سهوب آسيا الوسطى إلى حدود الصين، وتذهب المصادر العربية وتتفق معها الروسية إلى أن زعيم الخزر كان يحمل اللقب التركي "قاغان" وهو بالعربية "خاقان"، والروايات التي يوردها العرب عن الحفلات التي كانت تقام عند اعتلاء كل خاقان جديد تتفق تماماً مع كل ما ذكرته الروايات الصينية عن الحكام الترك في القرن السادس الميلادي.

ويُستشف من ذلك أن مملكة الخزر نشأت مباشرة من الإمارات التركية التي ذكرها الكتاب البيزنطيون، والتي كانت جزءاً من مملكة البدو في القرن السادس الميلادي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن دولة الخزر ذكرت لأول مرة كدولة لها شأنها عام (٦٢٧م) باعتبارها حليفة قوية للإمبراطورية البيزنطية في حروبها ضد الفرس، ومما يذكر أنه لم تكن بها حاضرة على نهر "إتيل"

وقتذاك، ولم ينقل أمراء الخزر مقر حكمهم من سهوب القوقاز الشمالية إلى المجرى الأدنى لنهر "إتيل" إلا بعد صراعاتهم ضد العرب في بداية القرن الثاني للهجرة بعد عام (٧٢٠م).

ويؤكد كل من "ابن خردادبة، وابن فضلان، والإصطخرى، وابن حوقل، والمقدسى، والكرديزى، وياقوت، وكى لسترنج"، أن الخزر كانوا يسكنون إقليم نهر "إتيل" (ال فولجا)، ومن الشعوب التى ذكرت وكانت تقطن الأرض الواقعة بين الخزر والبلغار شعب "البرطاس"، وقد خضعوا للخزر، وتقع أرض الخزر على مسيرة خمسة عشر يوماً من بلاد "البرطاس"، والمسافة بين مساكن هؤلاء ومساكن البلغار يقطعها المسافر فى ثلاثة أيام، أى أن مساكن البرطاس أقرب إلى البلغار، ولخضوعهم للخزر دلالة على زيادة نفوذ الخزر واستيلائهم على أرض البلغار، كما أشرنا لذلك من قبل.

وعلى ضوء ما تقدم، أصبح للخزر واقع سياسى ملموس دلالاته حكومة وشعب متعدد الجنسيات، يعيش على رقعة جغرافية امتدت من بحر قزوين شرقاً إلى البحر الأسود غرباً، ومن جورجيا وأذربيجان جنوباً إلى روسيا شمالاً، وأصبحوا بعد ضعف الفرس إحدى القوى السياسية الثلاث إلى جانب المسلمين والدولة البيزنطية، الذين لهم وزنهم السياسى، ولكى يكتمل هذا الواقع السياسى لابد أن نشير إلى العقيدة التى اعتنقها حكام الخزر وشعبهم.

الخزر إلا الاسم، ومقدار الأمر على "إيشا" إذ كان في القيادة والجيش بالموضع الذي لا يبالي معه أحد فوقه، ورئيسهم الأعظم على دين اليهود، وكذلك "إيشا" ومن يميل ميله من القواد والعظماء، والبقية منهم على دين شبيه دين الأتراك.

وبهذه الكلمات أوضح "ابن رسته" اعتناق ملك الخزر ونائبه والقواد، والعظماء أى عليّة القوم ووجهائهم لليهودية، وعلى صعيد آخر أشار "ابن رسته" إلى ثنائية الحكم حين قال: فالأمر كله يقوم به إيشا، بينما الملك الأعظم "خزر خاقان" الذي ليس له من طاعة الخزر إلا الاسم؛ لكن الحكم لا يستقيم إلا به. وعن الموضوع نفسه يقول "الإصطخرى" وملكهم يهودى يقال إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى ويهود، وفيهم عبدة أوثان، وأقل الفرق اليهود وأكثرهم المسلمون والنصارى، إلا أن الملك وخاصته يهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم.

وهكذا أشار "الإصطخرى" إلى العقيدة التى وجدت فى بلاد الخزر ممثلة فى: الإسلام، والمسيحية، واليهودية، وكذلك عبادة الأوثان، إلا أن الملك وخاصته اعتنقوا اليهودية. وينقل "ابن حوقل" نص "الإصطخرى" دون زيادة، أما "المقدسى" فيقول: وكان ملكهم يهوديًا له رسوم وحكام مسلمون، ويهود، ونصارى، وعبدة أوثان. وربما قصد المقدسى بالحكام (القضاة). ويشابه "الكرديزى"، "ابن رسته" فى كلامه عن الخزر؛ لكنه يسمي ملكهم

"بالشاد" فيقول: ولهم ملك عظيم آخر يسمى "الشاد" كما أن لهم ملكاً عظيماً آخر يسمى "خاقان الخزر"، وليس له إلا الاسم فقط، أما مدار كل شكل الولاية والحشم فهو على "الشاد"، وليس هناك إنسان أعظم منه مطلقاً، ورئيسهم الأعظم يهودياً، وكل من يميل إليه من الكبراء والعظماء كذلك، أما الباقون فهم على دين يشبه دين الأتراك الغز.

وهنا نلاحظ أن "الكرديزي" قال بثنائية الحكم في بلاد الخزر، وفي الوقت نفسه أكد على يهودية الملك ووجهاء القوم؛ بينما باقى الرعية على دين يشبه دين الأتراك الغز، وقد أكد المقدسى نفس المعنى من قبل.

وعن ثنائية الحكم التى قال بها كل من "ابن رسته" و"الكرديزي"، يقول أيضاً "اليقوبى" عند كلامه عن ممالك "الجربى" وكانت الخزر المتغلبة على عامة أرمينية الرابعة، وعليها ملك يقال له "خاقان" وخليفة يقال له، يزيد بلاش على الران، وخزران، والبسفرجان، والسيسجان، وكانت هذه البلاد تسمى أرمينية الرابعة.

بيد أن "المسعودى" تحدث كثيراً عن مسألة تهود ملك الخزر، فقال عند حديثه عن مدينة "آمل"، وربما قصد "إبل"، وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية، أما اليهود فالملك وحاشيته والخزر جنسه، وكان تهود ملك "الخزر" فى خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣/٧٢٣-٧٤٠م)، وقد إنضاف إليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر

أمصار المسلمين ومن بلاد الروم، وذلك أن ملك الروم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وهو "أرمينوس"، نقل من كان فى ملكه من اليهود إلى دين النصرانية وأكرهمهم... فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم إلى أرضه، وأما ما فى بلادهم من الجاهلية فأجناس منهم الصقالية والروس، وهم فى أحد جانبي هذه المدينة.

وينقل لنا "دنلوب" و"كيسلر" مناظرة دينية جرت بين ممثلى المسلمين والمسيحيين واليهود بحضور ملك الخزر، يظهر من خلالها أسباب اعتناقه اليهودية، وكان مصدر هذه المناظرة "البكرى الأندلسى" ت. (٨٧٤هـ/١٠٩٤م)، جاء فيها: "إن ملك الخزر كان قد اعتنق المسيحية ثم أدرك بهتانها، فناقش هذه المسألة مع أحد كبار موظفيه، فقال له هذا: أيها الملك إن من لهم كتب مقدسة ينقسمون إلى جماعات ثلاث، فأرسل فى استدعائهم، واطلب إليهم أن يوضحوا قضيتهم، ثم اتبع من يمتلك الحقيقة.

وبناءً على ذلك استدعى ملك الخزر من المسيحيين أسقفًا، وكان مع الملك يهودى بارع فى الجدل، أغراه بالدخول فى مناظرة، فسأل الأسقف ماذا تقول فى موسى بن عمران، وفى التوراة التى أوحيت إليه؟ فأجاب الأسقف إن موسى رسول وإن التوراة تنطق بالحقيقة، وعندئذ قال اليهودى: لقد اعترف فعلاً بصدق عقيدتى فلنسأله الآن بماذا يؤمن هو؟ فسأله الملك وأجاب الأسقف: أقول إن عيسى المسيح بن مريم هو الكلمة وأنه أوحى الأسرار باسم الرب، وهنا قال اليهودى للملك: إنه يبشر لمذهب لا أعرفه،

على حين أنه يقرّ أقوالى، ولكن الأسقف لم يكن قويًا فى إبراز حجته، ثم أرسل الملك يستدعى مسلمًا فأرسل إليه عالمًا ذكيًا برع فى المناقشات، ولكن اليهودى رشا شخصًا ما دس له السم فمات، وهو فى طريقه إلى الملك. وهكذا نجح اليهودى فى كسب ملك الخزر إلى عقيدته، فاعتنق اليهودية، وإن كان ميل ملك الخزر واضحًا إلى اليهودية من قبل، بدليل أنه استند فى هذه المناظرة إلى يهودى كان بجواره.

وأخيرًا يقول "ياقوت" الذى اعتمد فيما رواه على "ابن فضلان" و"الإصطخرى": وملكهم يهودى، ويقال: إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الأوثان، وأقل الفرق هناك اليهود على أن الملك منهم وأكثرهم المسلمون والنصارى، إلا أن الملك وخاصته يهود والغالب على أخلاقهم، أخلاق أهل الأوثان يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم. وبهذا نقل "ياقوت" عن "ابن فضلان" و"الإصطخرى" اعتناق ملك الخزر لليهودية؛ لكنه أوضح تعصب هذا الملك ضد المسلمين، فيذكر أنه لما اتصل بملك "الخزر" سنة (٣١٠هـ) أن المسلمين هدموا الكنيسة التى كانت فى دار "البابونج"، أمر بالمنارة فهدمت وقتل المؤمنين، وقال لولا أنى أخاف أن لا يبقى فى بلاد الإسلام كنيسة إلا هُدمت؛ لهدمت المسجد. والخزر كلهم وملكهم يهود، وكان الصقالبة ومن يجاورهم فى طاعته ويخاطبهم بالعبودية، ويدينون له بالطاعة، وقد ذهب بعضهم إلى يأجوج ومأجوج هم الخزر.

وهكذا ألفت المصادر العربية الضوء على اعتناق ملك الخزر وحاشيته اليهودية، كمذهب سياسى لا دينى حتى يتمكن من خلالها رسم سياسة مستقلة لدولته بين الشرق والغرب؛ لكونها تمثل قوة ثالثة آنذاك.

ونحاول الآن أن نعرض لما أورده المراجع الأجنبية بشأن تهود الخزر وملكهم، فيذكر "كيسلر Koestler" أنه فى عام (١٢٣/٧٤٠م) تقريباً اعتنق ملك الخزر وحاشيته والطبقة العسكرية الحاكمة "اليهودية" التى أصبحت الدين الرسمى لدولة الخزر، ومما لاشك فيه أن الدهشة قد أصابت معاصريهم بهذا القرار، بالفقر الذى أصاب الباحثين المعاصرين بعد وقوفهم على ما يؤيد ذلك، من خلال المصادر العربية والبيزنطية والروسية والعبرية.

ويعلق المؤرخ "إنتال بارتا" على اعتناق الخزر لليهودية فى كتابه "المجتمع المجرى فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين"، وهى تلك الفترة التى مارست فيها دولة الخزر سيادتها على المجريين قائلاً: أصبحت العقيدة اليهودية الديانة الرسمية للطبقة الحاكمة فى المجتمع الخزرى، ومن نافلة القول: إن قبول العقيدة اليهودية ديانة رسمية لشعب غير يهودى عرقياً يمكن أن يكون عرضة لتأملات مثيرة، وسوف تقتصر الملاحظة على أن هذا التحول الرسمى إلى دين جديد لم تكن له أية سلطة سياسية تناصره، ومن هنا كان الاعتناق مفاجأة لكل المؤرخين المهتمين بشعب الخزر، وبالطبع لا يمكن اعتبار هذا التحول أمراً عرضياً، بل يجب أن ينظر إليه على ضوء السياسة المستقلة التى انتهجتها تلك الدولة.

وعلى ذلك يكون التحول إلى اليهودية من جانب ملك الخزر وحاشيته وجنده، تحولاً سياسياً بالدرجة الأولى، بحثاً عن شخصية مستقلة حتى لا يكونوا تابعين لأى من القوتين الإسلامية أو البيزنطية، فيتأثروا بمراحل القوة والضعف التى تتناوبهما.

وليس من شك فى أن الخزر كانوا قبل تحولهم إلى اليهودية يميلون إلى الشامانية، التى لم تستطع أن تضى على زعمائهم سلطة روحية؛ لما اتسمت به من بربرية وعنف، إذا ما قورنت بالعقيدة الإسلامية فى توحيدها ومنهجها، ومن هنا توجه حكام الخزر إلى اليهودية مدفوعين بواعث سياسية حتى لا يكونوا تابعين، كما أشرنا للإسلام أو المسيحية بما يؤثر على سيادتهم الاستقلالية.

ويذهب "كيسلر" إلى أبعد من هذا التاريخ المذكور فى اعتناق الخزر اليهودية، فيقول: أنه قبل ذلك بحوالى قرن من الزمان، عن طريق المهاجرين الفارين من الاضطهاد الدينى فى بيزنطة وغيرها من بلدان آسيا الصغرى. ولعل أباطرة بيزنطة كان لهم دورهم الفعال فى هذه الهجرة، ففى "ليو الثالث" (٧١٧-٧٤٠م) الذى حكم خلال العقدين السابقين مباشرة لتحول الخزر إلى اليهودية عام (٧٤٠م) يصدر أمره بتعميد كل رعايا اليهود، وبالرغم من عدم تنفيذ هذا الأمر إلى حد ما، إلا أنه كان دافعاً لهجرة أعداد كبيرة من اليهود إلى بلاد الخزر، وهذا يؤكد ما أورده "المسعودى" من قبل.

وبضيف "كيسلر" إن الإمبراطور الرومانى "بازل" Basil أجبر أفراد الطائفة اليهودية فى "أوريا" Oria جنوب إيطاليا على اعتناق المسيحية، وأن أى شخص يرفض ذلك كان يوضع فى معصرة الزيتون تحت مكبس خشبى ثم يعصر بنفس الطريقة التى يعصر بها الزيتون. ننتقل بعد ذلك إلى مصدر مهم من المصادر التى أشارت إلى تحول ملك الخزر إلى اليهودية، وهو المعروف برسائل الخزر.

رسائل الخزر The Khazar Carrespondence:

هذه الرسائل كتبت باللغة العبرية، وتبذلت بين "يوسف" ملك الخزر، و"حسداى بن شبروط" اليهودى أشهر وزراء الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) بقرطبة، وبالطبع كتبت هذه الرسائل من خلال كاتبيهما، وقد جرت بعد عام (٩٥٤/٣٤٣م)، وقبل عام (٩٦٠/٣٤٧م) فى الفترة التى كتب فيها "المسعودى".

ويؤكد "ابن النديم" أن الخزر كانت تستخدم الأحرف العبرية، حيث قال: فأما الترك والبلغر والبرغز والخزر واللاز، وأجناس الصغار الأعين، والمفرطى البياض فلا قلم لهم يعرف سوى البلغر، والتبت فإنهم يكتبون بالصينية والمنائية والخزر تكتب بالعبرانية.

نعود إلى "حسداى" ونتساءل من هو؟ ونجيب: فى قرطبة عام (٩١٠م) ولد حسداى بار إسحاق بار عزرا بار شبروط، وما إن شب عن

الطوق حتى اشتغل بصناعة الطب وذاعت شهرته في وصفه الأدوية لمرضاه، وما إن زادت شهرته حتى وثق فيه الخليفة وقربه إليه طالباً منه أن ينظم الشؤون المالية للبلاد، وبذلك علا قدره فقام الخليفة "عبد الرحمن" بنده كوزير للخارجية، وخبير في حل المنازعات الدبلوماسية بين الخليفة وكل من بيزنطة، والإمبراطور الألماني "أتو"، وكذلك مع قشتالة ونافار وأراجون وغيرها من الممالك المسيحية بإسبانيا.

وقد نجح "حسداى" بالرغم من أعبائه أن يقوم بترجمة بعض الكتب الطبية إلى اللغة العربية، وأن يرسل العلماء من أحبار اليهود في بغداد. وكان "حسداى" يهودياً متعصباً، استخدم اتصالاته الدبلوماسية في الحصول على معلومات تخص الجماعات اليهودية المشتتة في أنحاء العالم، وكان غالباً ما يتدخل لصالحهم كلما أمكن ذلك، وكان "حسداى" مهتماً على وجه الخصوص بموضوع اضطهاد اليهود في الإمبراطورية البيزنطية في عهد رومانوس الأول.

قال عنه "ابن أبي أصيبعة": إنه معتن بصناعة الطب، خدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان حسداى بن إسحاق من الأحبار متقدماً في علم شريعتهم، وهو أول من فتح لأهل الأندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك. وكانوا من قبل يضطرون في فقه دينهم ورسن تاريخهم ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد، فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون به مداخل تاريخهم ومبادئ سنينهم، فلما اتصل حسداى

بالحكم، ونال عنده نهاية الخطوة توصل به إلى استجلاب ما شاء من تأليف اليهود بالمشرق، فعلم حينئذ يهود الأندلس ما كانوا قبل يجهلونهم واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه، ولقد انتهز حسداى فرصة توليه المفاوضات بين قرطبة وبيزنطة ليتوسط لصالح الشعب اليهودى البيزنطى، وقد علم بوجود مملكة يهودية لأول مرة من بعض تجار القوافل من خراسان وفارس، وشك حسداى فى صحة ذلك، فقام بسؤال أعضاء البعثة الدبلوماسية لبيزنطة التى كانت فى قرطبة، فأكدوا له صحة الخبر، وقدموا له تفصيلاً عن المملكة الخزرية وملكها يوسف، وعندئذ تلقف حسداى الأخبار مقررًا إرسال رساله إلى يوسف ملك الخزر يحملون خطابًا به عدة استفسارات عن دولة الخزر، كشعبها ونظام حكمها وجيشها، وإلى أى قبيلة (سبط) من القبائل الاثني عشر ينتمى "يوسف".

رسالة حسداى:

بدأ حسداى رسالته ليوسف ملك الخزر بالإشادة بانتصارات يوسف الحربية، ثم ذكر اسمه "حسداى بار إسحاق بار عزرا بار شبروط"، تلى ذلك باسم سكرتيره "مناحم بن شاروك"، ووضح أن حسداى كلفه بكتابة الرسالة إلى "يوسف" فكتب اسمه إلى جوار اسم راعيه حسداى.

استهل حسداى الرسالة بالتحيات والعبارات المبجلة، ثم بدأ يرسم صورة وردية لحالة أسبانيا المسلمة، وما يتمتع به اليهود من رغد العيش فى

ظل حكم "عبد الرحمن الناصر"، وسمى البلد الذي يعيش فيه بالعبرية "سفراد"، بينما أطلق عليه المسلمون الأندلس.

ثم يواصل "حسداى" كلامه ليوضح كيف أنه سمع لأول مرة عن وجود مملكة يهودية من حديثة مع تجار "خراسان"، ثم من المبعوثين البيزنطيين الذين أكدوا له وجود مملكة يهودية اسمها مملكة "الخزر"، وأن المسافة بينها وبين القسطنطينية بطريق البحر خمسة عشر يوماً، ومن البحر المتوسط إلى الأسود، ثم إلى نهر الرون ومنه تنقل المراكب براً حتى نهر الفلجا، ثم تنزل به للتستكمل الرحلة إلى العاصمة الخزرية "إتل"؛ لكن الطريق البرى فيحتوى شعوباً متعددة.

وأما ملك "الخزر" فاسمه "يوسف" وتنقل السفن القادمة من بلادهم السمك والفراء وكافة أنواع السلع، وهم فى تحالف معنا ونحن نجلهم ونبادلهم السفارات والهدايا، وهم أشداء ولهم قلعة لمخافهم الأمامية، ولجنودهم الذين يخوضون المعارك فى غزواتهم بين وقت وآخر.

وهكذا استفاد "حسداى" معلومات متعددة ومتنوعة عن مملكة "الخزر" من خلال أعضاء البعثة الدبلوماسية البيزنطية، بل أعطوه معلومات عن العلاقات البيزنطية الخزرية والتي تنسم بالإيجابية. ثم يشرح "حسداى" محاولاته الأولى للاتصال بالملك "يوسف" وكيف أنه أرسل فى بادئ الأمر رسولا يدعى "إسحاق بار ناتان" وزوده بتعليمات للسفر إلى بلاط الخزر؛ لكنه لم يتجاوز

مدينة القسطنطينية، ثم منع من مواصلة سفره حتى لا يتم التقارب بين الخزر وقرطبة، فتقع بيزنطة في النصف، فعاد الرسول خالي الوفاض.

بيد أن "حسداى" لم يتقاعس في اغتنام الفرصة، فالتقى بالسفارة التى جاءت من شرق أوربا إلى قرطبة، وكان من بين أفرادها يهوديان، هما: "مار صاعول ومار يوسف"، وتحدث معهما فتطوعا بحمل رسالته إلى الملك "يوسف". وبعد أن شرح "حسداى" للملك "يوسف" كيفية كتابة خطابه، وما بذله من جهد فى محاولة إيصاله إليه، بدأ يوجه عددًا من الأسئلة التى تعكس حرصه الشديد على معرفة كل شئ عن بلاد "الخزر"، من حيث جغرافيتها وطقوسها الخاصة بالاحتفال بيوم السبت.

ثم يقول أحسبدافع يحفرنى على معرفة الحقيقة، من حيث إذا كان هناك مكان على الأرض، يمكن لإسرائيل المنهكة أن تتولى حكم نفسها، ولا تكون خاضعة لأحد، فإذا قدر لى معرفة وجود هذا المكان، لم أتردد فى التخلّى عن كل ما أتمتع به من مميزات، تاركًا منصبى وأسرتى مهاجرًا مجتازًا الجبال والوهاد خائضًا البر والبحر حتى أصل إلى الأرض التى يحكمها مولاي الملك اليهودى، ثم يلتبس "حسداى" من "يوسف" معرفة الموعد المحتمل لقدم المسيح المخلص الذى تنتظره طيلة تجوالنا من بلد لآخر؛ لأن الذل والهوان لحقنا فى شتاتنا، فلزامًا علينا أن ننصت فى صمت لأولئك الذين يقولون لكل شعب أرضه الخاصة وأنتم وحدكم لا تملكون ثمة شعب بلد على هذه الأرض. وبذلك الكلمات يعبر "حسداى" عن مرحلة الشتات التى يعيشها

اليهود ويمنى نفسه وغيره من اليهود بالذهاب إلى مكان يجمعهم، يكون بالنسبة لهم بمثابة الوطن القومي؛ ليسقط ذلك عنصر المكان عن يهود اليوم فلا أحقية لهم فيه، وكان لابد ليوسف وأن يرد على رسالة حسداى.

رد الملك يوسف:

بدأ الملك "يوسف" رده بتحيات "حسداى"، ثم قال: إن مملكة "الخزر" دليل وإصح على كذب أولئك الذين يزعمون أن صولجان "يهوه" قد سقط إلى الأبد من أيدى اليهود، تلا ذلك ببيان سلسلة نسب أبناء قومه وأصل سلالته، ورغم كونه يهوديًا متعصبًا إلا أنه لا يرجع أصله إلى "سام بن نوح" (عليه السلام)، بل يرجعه إلى "يافث" الابن الثالث لنوح، أو بعبارة أكثر دقة إلى حفيده "جراة" قائلاً: لقد عثرنا فى سجلات الأسرة التى تركها آبائنا أنه كان "لتاجورما" عشرة أبناء أسماء ذريتهم هى: أجور، ودورسو، وآفار، وهون، وبازل، وتاريناخ، وخزر، وزاجور، وبلغار، وسابير، وإننا نحن أبناء "خزر" أى الذرية السابعة. بعد ذلك تحدث "يوسف" عن مجد أسلافه الحربية، الذين وصلوا بقواتهم إلى نهر الطوانة، ثم بعد ذلك يروى قصة اعتناق الملك "بولان" اليهودية، فيما يعرف بأسطورة بولان.

أسطورة بولان:

يذكر "يوسف" أن الملك "بولان" كان على استعداد لخدمة المولى، وقد قال: أنت تعرف يامولاى نوايا قلبى الكامنة، ولقد فحصت أنت كليتى

لتؤكد أن تقتى مودعة فيك، ولكن أفراد الشعب الذين أحكمهم لهم آراء وثنية ولا أعرف ما إذا كانوا سيصدقوننى؟ فإن كنت قد حظيت بعطفكم ورحمتكم فإنى أتوسل إليكم أن تظهروا أيضاً لأميرهم الكبير كى تحثوه على تأييدى، وقد استجاب الخالد الأحد لطلب "بولان" وظهر لهذا الأمير فى الحلم، فلما استيقظ الأمير فى الصباح، جاء إلى الملك وأخبره بما حدث. ويلاحظ أن سفر التكوين، وأغلب الروايات العربية التى أوضحت تهود الخزر، لم يرد فيها إطلاقاً ما يؤكد فكرة وجود أمير يتعين عليهم الحصول على موافقته؛ لكنها بالطبع إشارة واضحة إلى ثنائية الحكم عند "الخزر"، فالأمير الكبير واضح أنه البك، وأما الملك فهو الخاقان.

وتواصل رسالة "يوسف" الحديث فتذكر كيف ظهر الملاك مرة أخرى للملك الحالم، وأمره أن يشيد مكاناً للعبادة يمكن للرب أن يقيم فيه؛ لأن السماء والسموات التى تعلوها ليست متسعة إلى حد كاف لتحتوينى، ويجب الملك "بولان" فى حياء أنه لا يملك الذهب والفضة اللازمين لمشروع كهذا. فيعيد الملاك طمأنته قائلاً: إن كل ما عليك أن تقوم بقيادة جيوشك إلى "داريبلا وأردبيل" فى أرمينيا، وسوف تجد فى انتظارك هناك كنزاً من الفضة وآخر من الذهب، وتتفق هذه الرواية مع غارة "بولان" أو "بولخان" على مناجم الفضة والذهب فى القوقاز. وينفذ "بولان" أمر الملك، ويعود منتصراً ومعه الغنائم، فبنى هيكلاً متنقلاً "خيمة"، وجهاز بصندوق

مقدس (تابوت العهد)، وشمعدان، ومذبح، وأدوات مقدسة حفظت إلى اليوم ولا تزال في عهدة أي عهدة "يوسف".

وهكذا قص علينا الملك "يوسف" انتماءه إلى حفيد "يافت بن نوح" (الخزر)، وعدد مجد أسلافه، ثم عرج بنا ليرى أسطورة "بولان" وكل مؤداها تهيئة فكر الخزر لتقبلهم لليهودية، فيذكر أن الارتداد عن الوثنية لصالح الإله الحق، وعقب غزو بولان لأرمينيا ذاعت شهرته حتى بلغت مملكة "أيديم" (بزنطة)، وملك بني إسماعيل المسلم يقصد الخليفة، فأرسل إليه مبعوثين فوق العادة محملين بالهدايا إلى جانب العلماء ليهدوه إلى عقائدهما؛ لكن الملك كان حكيماً، حيث أرسل في طلب يهودى واسع العلم كثير الفطنة، وجمع الثلاثة معاً لمناقشة تعاليمهم.

وبالرغم من أن "البكرى" لم يذكر وجود المسلم، كما أسلفنا بل راح ضحية مؤامرة اليهودى، إلا أن "يوسف" أكد حوار "بولان" معهم، وقد سأل المسيحي أى الديانتين الآخرين أقرب إلى الحقيقة، فأجاب ديانة اليهود، ثم واجه المسلم بنفس السؤال، وحصل على نفس الإجابة.

وهكذا فاز الحياد لا إلى هذا ولا إلى ذاك، وتلك خدعة يهودية صورها "يوسف" منسوبة إلى "بولان" لاعتناق اليهودية. ويعدد "يوسف" مراحل تهويد "بولان" ملك الخزر، فيذكر أنه بدأ يطرد السحرة وعبداء الأوثان، قبل ظهور الملاك، ثم أبرم عهده مع الإله الذى أتاه فى الصباح قبل

أن يقرر إن كان هو إله اليهود أم المسيحيين أو المسلمين، ثم كان الاعتناق الذي يعد مرحلة وسط، كان اعتناقاً بدائياً قام على الكتاب المقدس وحده Bible دون إدخال التلمود، والفترة من بولان إلى "عبادية" (٧٤٠-٨٠٠م) ساد البلاد فيها نوع من مذهب القرائين Karaism.

إن كان تهود الخزر عملية تدريجية أحدثتها ذريعة سياسية، ثم تغلغت على مهل إلى الطبقات الأعمق في أذهانهم، وأنتجت في آخر الأمر المسيحانية (عقيدة المسيح المخلص). وبعد الإصلاحات التي قام بها "عبادية" وأوضحها "يوسف" في رده يسطر قائمة بخلفائه، وهم: هسكيا ابنه، ثم إسحاق ابنه، ثم منسة بن عبادية، ثم شانوكا شقيق عبادية، ثم إسحاق ابنه، ثم منسة ابنه، ثم وثيس ابنه، ثم مناحم ابنه، ثم بنيامين ابنه، ثم آرون ابنه، وأخيراً يوسف بن آرون المبارك. وكلنا أبناء ملوك، ولم يسمح لغريب أن يتولى عرش آبائنا.

وهكذا رد "يوسف" على "حسداى"، وأوضح مراحل تهود الخزر، وسلسلة الملوك من "بولان" حتى هو، وبالطبع يظهر التعصب واضحاً في رد يوسف الذي اعتبر حسداى والده، وليس هناك شك في أن اعتناق "الخزر" لليهودية كان اعتناقاً سياسياً أكثر منه دينياً، كما أشرنا في صدر كلامنا.

بمصادر أخرى عن تهود الخزر:

إضافة إلى الرسائل المتبادلة بين "حسداى بن شبروط ويوسف بن آرون" هناك "جنيزة القاهرة" Cairo Geniza التي اكتشفها "سولومون شبختر Solomon Schechter" في مخزن معبد يهودى بالقاهرة، وتحوى خطابًا من مائة سطر، ضاع أوله وآخره، فلم يعرف لمن أرسل ولا من كتبه، بالإضافة إلى وثائق أخرى، وبالنسبة للخطاب الذى يعرف بوثيقة "كمبردج" ورد فيه اسم الملك "يوسف"، ولفظ مولاي، وجاء ذكر بلاد "الخزر" بوصفها بلدنا.

ويستشف من هذا الخطاب كتبه أحد كتاب "الخزر" من بلاط "يوسف" وأرسل إلى "حسداى بن شبروط" عن طريق بيزنطة، فتسلمه مندوب "حسداى إسحاق بار ناتان" فى القسطنطينية، ثم أوصله لقرطبة، وتم نقله إلى القاهرة مع هروب اليهود من أسبانيا، وفيه إشارات عن تهود الخزر من خلال قصة أسطورية.

كذلك ما كتبه "جودا هاليفى Jehuda Halevi" (١٠٨٥-١١٤١م) بوصفه أعظم شاعر عبرى أنتجته أسبانيا فى مؤلفه "الخزر"، بالإضافة إلى الرحالة اليهودى الألمانى "بتاليا Petachia"، الذى زار شرق أوروبا وغرب آسيا، عامى (١١٧٠-١١٨٥م).

وصفوة القول: فإن الدراسة قد كشفت عن الواقع السياسى لدولة "يهود الخزر"، من حيث الموقع الجغرافى، إذ هاجروا من أواسط آسيا فى القرن الأول الميلادى، واستقروا على مقربة من "بحر قزوين"، وشيئاً فشيئاً ازدادت رقعة بلادهم، حتى أصبحت فى القرن الثامن الميلادى تمتد من بحر قزوين شرقاً إلى البحر الأسود غرباً، ومن أذربيجان وجورجيا وأرمينية جنوباً إلى روسيا شمالاً.

كما أوضحت الدراسة تغير موقع العاصمة حسب الظروف السياسية، فكانت "بلانجر" ثم أصبحت "سمندر"، وأخيراً "إتيل".

كذلك أشارت الدراسة إلى ظهور "الخزر" على مسرح التاريخ من خلال علاقتهم بالهون والأتراك الغربيين، ومن خلال الصراع بين الشرق والغرب، الذى تمثل فى الفرس واليونان، ثم الرومان، ثم البيزنطيين.

كذلك أوضحت الدراسة اعتناق "الخزر اليهودية" كدين رسمى، بالرغم من وجود الإسلام والمسيحية؛ لكن الملك وخاصته ورجال دولته قصدوا بهذا الاعتناق اعتناقاً سياسياً أكثر منه دينياً، حتى لا يكونوا تابعين للشرق الإسلامى أو الغرب المسيحى، بحثاً عن هوية خاصة بهم. وبالطبع تحفزنا هذه الدراسة للتعرف على الواقع الاجتماعى ليهود الخزر.

المحور الثاني

الواقع الاجتماعي لدولة يهود الخزر

- أولاً- أصل يهود الخزر واشتقاقات اسمهم.
- ثانياً- الدراسة الأنثروبولوجية ليهود الخزر.
- ثالثاً- رسوم الخزر.

المحور الثاني

الواقع الاجتماعي لدولة يهود الخزر

يتضمن هذا المحور ثلاث نقاط رئيسة، الأولى: تعالج أصل يهود "الخزر"، واشتقاقات اسمهم. والثانية: تشير إلى الدراسة الأنثروبولوجية Anthropology، التي تختص بهم. والثالثة: ترصد وتحلل رسوم يهود "الخزر"، وسوف يتضح ذلك من خلال ما أوردته المصادر والمراجع التاريخية العربية منها والأجنبية، على النحو التالي:

أولاً- أصل يهود الخزر واشتقاقات اسمهم:

يقول "ابن قتيبة": وأما "يافث" فمن ولده "الصقالبة وبرجان والأسبان"، وكانت منازلهم بأرض الروم قبل الروم، ومن ولده "الترك والخزر ويأجوج ومأجوج".

فنسب بذلك "ابن قتيبة الخزر" إلى "يافث بن نوح" (عليه السلام)، "ويزيد اليعقوبي" الموضوع تفصيلاً، فيقول: "قسم نوح الأرض بين ولده، فجعل "لسام" وسط الأرض والحرم وما حوله، واليمن، وحضر موت إلى عمان، إلى البحرين، إلى عالج، وبيرين، ووبار، والدوة، والدغناء. وجعل "لحام" أرض المغرب والسواحل، فولد "كوش بن حام، وكنعان بن حام، النوبة

والزنج والحبشة". ونزل "يافث بن نوح" ما بين المشرق والمغرب، فولد له "جومر، وتوبل، وماش، وماشج، ومأجوج". فولد "جومر الصقالبة". وولد "توبل برجان". وولد "ماش الترك، والخزر". وولد "ماشج الأسبان". وولد "يأجوج ومأجوج". وهم في شرقي الأرض من جهة الترك، وكانت منازل الصقالبة وبرجان أرض الروم قبل أن يكون الروم، فهؤلاء ولد "يافث".

وهكذا أكد "اليقوبى" رأى "ابن قتيبة" في نسب الترك والخزر "ليافث بن نوح"، أو بتعبير أدق إلى "ماش بن يافث"، كما أشار إلى إعمار الأرض بأبناء نوح. ثم لم يكتف "اليقوبى" بما أشرنا، وإنما يشير إلى ألسن ولد نوح، فيقول: "كان في ولد سام تسعة عشر لساناً، وفي ولد حام ستة عشر لساناً، فلما رأوا ما هم فيه اجتمعوا إلى "فالخ بن عابر" فقال لهم: إنه لا يسعكم أرض واحدة مع افتراق ألسنتكم، فقالوا: اقسموا الأرض بيننا، فقسم لهم فصار لولد "يافث بن نوح" الصين والهند والسند والترك والخزر والتبت والبلغر والدليم، وما والى أرض خراسان، وكان ملك بنى يافث في ذلك الزمان "جم شاد" وصار لولد حام أرض المغرب وما وراء الفرات إلى مسقط الشمس، وصار لولد "سام" الحجاز واليمن وباقي الأرض".

وهكذا أشار "اليقوبى" لتعدد ألسن أتباع أولاد نوح (عليه السلام)، كما أشار إلى اسم ملك بنى يافث آنذاك، ومن المرجح أنه ملك الخزر؛ لأن الكريديز ذكره تقريباً حين قال عن الخزر: "ولهم ملك عظيم يسمى الشاد".

وفى نفس الموضوع يقول "الطبرى": "فلما هبط نوح وذريته وكل من كان فى السفينة إلى الأرض، قسم الأرض بين ولده أثلاثاً، فجعل لسام وسطاً من الأرض ففيها: بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وفيشون، وذلك ما بين فيشون إلى شرق النيل، وما بين منخر ريح الجنوب إلى منخر الشمال، وجعل لحام قسمه غرب النيل، فما وراءه إلى منخر ريح الصبا". أى قسم من أرض يافث فى ريح الصبا (ريح الشمال)، وكثيراً ما كانت تسمى أرض الخزر أرض الشمال.

لم يتوقف "الطبرى" عند كلامه على تقسيم الأرض بين ولد نوح، بل لمس جانباً أنثروبولوجياً Anthropology، لأتباع أبناء نوح، حيث قال: "ولد لنوح سام، وفى ولده بياض وأدمة وحام، وفى ولده سواد وبياض قليل، ويافث وفيهم الشقرة والحمرة"، فكانت الشقرة والحمرة من نصيب أتباع يافث بن نوح.

ويقول "الكردبىزى" تحت عنوان "أحوال وأنسب الترك": قال عبد الله بن خرداذبة فى كتابه الأخبار، إن الترك من جملة الصينيين، وقال أبو عمرو عبد الله بن المقفع فى كتابه ربيع الدنيا: حينما خرج نوح (عليه السلام) من السفينة، كانت الدنيا خالية من الناس، وكان له ثلاثة أبناء سام وحام ويافث، فقسم الدنيا على أبنائه. فأعطى "لحام" أرض السواد وديارها برها وبحرها وجزائرها، مثل: الزنج والحبشة والنوبة والبربر، وجاءت العراق وخراسان والحجاز واليمن والشام وأيران شهر من نصيب "سام"، ووصلت الترك وسقلاّب ويأجوج ومأجوج حتى الصين إلى "يافث".

ويذكر "الكرديزى" أيضًا أن نوح (عليه السلام) طلب من الله (ﷻ) أن يعلم "يافت" اسمًا حينما يثوّه تسقط الأمطار، فاستجاب الله (ﷻ) دعاءه، وحينما تعلم "يافت" هذا الاسم كتبه على حجر وعلقه فى رقبتة احتياطيًا حتى لا ينساه، وكل وقت كان يطلب الأمطار بهذا الاسم كانت الأمطار تتساقط، وإذا ضرب هذا الحجر فى الماء، وأعطى ذلك الماء لمريض شفى، وكان أبناء "يافت" يملكون هذا الحجر بالميراث، حتى كثر نسله مثل: أبغر والخلخ والخرز وأمثالهم، فذب الخلاف بينهم بسبب ذلك الحجر.

ويستفاد من هذا النص أن الترك كانوا من جملة الصينيين، كما كانوا من نصيب "يافت"، ولكون الخزر فرع منهم فينسب الخزر بالطبع إلى "يافت"، ويتأكد ذلك من قول "الكرديزى": وكان أبناء يافت يملكون هذا الحجر بالميراث حتى كثر نسله، مثل: أبغر والخلخ والخرز.

ويقول "المسعودى": وأما ولد "يافت بن نوح"، فقال: أصحاب التاريخ إن جميع اللغات اثنان وسبعون لغة، منها سبع وثلاثون فى ولد "يافت"، وثلاث وعشرون فى ولد "حام"، واثنان عشرة فى ولد "سام"، فذكروا أن ولد يافت من ظهره سبعة وثلاثون، لكل واحد منهم لغة يتكلم بها هو ونسله. وكان فى قسم ولد "يافت" أرمينية وما جاورها إلى الأبواء، فمنهم الأسبان والروس والبرجان والخرز والترك والصقالبة ويأجوج وماجوج وفارس ومزنان، وأصحاب جزائر البحر والصين والبلغار، وأم لا تحصى.

وعند حديثه عن مملكة البرجان قال: "وأما البرجان فهم من ولد يونان بن فايت"، وهى مملكة كبيرة واسعة، وهم يخاربون الروم والصقالبة والخزر والترك، وأشد الأمم حرباً لهم الروم".

وعند حديثه أيضاً عن مملكة الترك قال: "وأما الترك فهم ولد يافث بن نوح (عليه السلام)، وهم أجناس كثيرة، وهم أصحاب مدن وحصون، ومنهم قوم فى رؤوس الجبال والبرارى فى خيم البود".

وعند حديثه عن ملوك الصين والترك يقول: "قد تنازع الناس فى أنساب أهل الصين وبدئهم، فذكر كثير منهم أن ولد "عابور بن سوبيل بن يافث بن نوح"؛ لما قسم "قالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح" الأرض بين ولد "نوح" ساروا يسره فى الشرق، فسار قوم منهم من ولد "أرعو" على سمت الشمال، وانتشروا فى الأرض فصاروا عدة ممالك، منهم "الديلم والجيل والطيلسان والتتر وفرغان". فأهل جبل القبق من أنواع اللكرز، ثم "اللان والخزر والأنجاد والسرير وكشك" وسائر تلك الأمم المنتشرة فى ذلك الصقع إلى بلاد طوابريدة إلى بحر مانطس وبحر الخزر، إلى البرغز ومن اتصل بهم من الأمم. وهكذا وافق "المسعودى" كل من "ابن قتيبة واليعقوبى والطبرى والكرديزى" رأيهم فى نسب الخزر إلى يافث بن نوح (عليه السلام)، وإن كان اليعقوبى قد أرجع "الخزر" إلى "ماش بن يافث بن نوح"، فإن المسعودى أرجعهم إلى ولد عابور بن سوبيل بن يافث.

بيد أن "ابن الأثير" يقول: وأما يافث فمن ولده جامر وموع ومورك وبوان وفويا وماشج وتيرش، فمن ولد "جامر" ملوك فارس، في قول: ومن ولد تيرش (الترك والخزر)، ومن ولد ماشج (الأسبان)، ومن ولد موع (بأجوج ومأجوج)، ومن ولد بوان (الصقالبة وبرجان)، ومن ولد يافث (الروم) وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح. وعلى ذلك يكون "ابن الأثير" قد اتفق مع كل من ذكرنا من قبل في نسب "الخزر" ليافث بن نوح؛ لكنه خالف كلاً من اليعقوبى والمسعودى في نسبه "الخزر" إلى أحد أبناء يافث، ففي الوقت الذى جعلهم اليعقوبى لماش بن يافث والمسعودى لولد عابور بن سوبيل بن يافث، جعلهم ابن الأثير لتيرش بن يافث.

ونختتم هذه المصادر "بابن العبرى" حيث قال: "ولبنى يافث الجريبا، أى الشمال (الأندلس والإفرنجية)، وبلاد اليونانيين والصقالبة والبلغار والأرمن". وإن لم يصرح "ابن العبرى" باسم الخزر، فإنه يفهم من كلامه أنهم ضمناً بين أمة الترك، أى يرجعون فى أصلهم قياساً على ما سبق ليافث بن نوح.

وصفوة القول: فإن المصادر العربية المتنوعة التى أوردناها اتفقت جميعها على حقيقة مهمة، وهى انتماء يهود "الخزر" فى أصلهم إلى يافث بن نوح (عليه السلام) لا إلى سام بن نوح، وبذلك ينتفى كلية ارتباطهم "بسام"، ولأن أكثر من ٩٠% من يهود اليوم يرجعون فى أصولهم إلى "الخزر" فيكون الارتباط المزعوم بين دولة إسرائيل الحالية وبين سام بن نوح والسامية ضرباً من الخيال يعوزه السند والدليل.

وقد أيدت الدراسات الحديثة هذه الحقيقة، إذ قالت الدكتورة عائشة راتب: "اليهود الذين وجدوا خارج فلسطين، سواء في العصور القديمة أو الحديثة، لا يمتون بصلة ليهود فلسطين القدامى إلا في القليل النادر، بعد المذابح التي تعرض لها يهود فلسطين على أيدي الرومان، والكثرة الغالبة منهم تنتمي إلى أجناس غير سامية اعتنقت اليهودية في فترات مختلفة في التاريخ، فأكبر طائفة يهودية في العالم حالياً هم الإشكينايز الذين يتكلمون لغة اليبديش Yiddish، وهم يهود شرق أوروبا ووسطها وهم أحفاد الخزر".

وقال "كيسنلر": "أكد القراءون Karaites (أفراد مذهب يهودي أصولي) الناطقون بالتركية من أبناء القرم وبولندة وأماكن أخرى، وجود علاقة بينهم وبين "الخزر" وهي علاقة يعززها الدليل المنبثق من الفلكلور والأنثروبولوجيا، وكذلك اللغة، وهناك فيما يبدو قدر ضخم من الأدلة التي تثبت الوجود المسفر لسلالة الخزر في أوروبا".

فالأستاذ "أ. ن. بولياك" أستاذ تاريخ اليهود في العصور الوسطى بجامعة تل أبيب، يرجع أصول الشعب اليهودي إلى الخزر، وقد شرح ذلك في كتابه "خزاريان" الذي نشره بالعبرية عام (١٩٤٤م)، وقرر في مقدمته اعتبار الشعب اليهودي الخزري نواة لمستوطنة اليهود الكبرى في شرق أوروبا، وقال: "إن اليهود الذين بقوا في أوروبا، وأولئك الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الذين توجهوا إلى إسرائيل كل هؤلاء يؤلفون غالبية يهود العالم في الوقت الحاضر، وهم من أصل خزري".

وبالتالى لم يكن أجدادهم قد أتوا من الأردن بل من نهر الفولجا، أجل لم يجيئوا من أرض كنعان بل من القوقاز، وهم من حيث التركيب الوراثى أقرب إلى قبائل الهون والآجور Vigur، والماجيار Magyar منهم إلى ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب.

ونذكر "كيسنلر" أن يهود عصرنا الحالى ينقسمون قسمين السفريديم، والإشكيناز، والنوع الأول سلالة اليهود الذين عاشوا فى أسبانيا وسموا بالعبرية سفاراد، حتى طردوا منها فى نهاية القرن الخامس عشر، واستقروا فى البلاد المطلة على البحر المتوسط، وتكلموا لغة أسبانية عرفت بـ "لادينو"، وقدر عددهم عام (١٩٦٠م) حوالى خمسة آلاف شخص. بينما بلغ عدد النوع الثانى فى الفترة نفسها حوالى أحد عشر مليوناً، وعليه فإن لفظ يهودى فى العصر الحاضر مرادف لليهود الإشكينازى، ويجب التنويه على أن إشكينازى الكتاب المقدس شعب يعيش فى مكان قريب من جبل أراراط فى أرمينية، ويرد الاسم فى سفر التكوين، وفى سفر أخبار الأيام الأول، بوصفه أحد أبناء "جومر بن يافت"، ثم إشكينازى أيضاً هو أخو "توجارما"، وابن أخ "مأجوج" الذى ادعى الخزر طبقاً لما ذكره ملكهم "يوسف" أنه جدهم الأعلى.

وجاء فى مقال على شبكة الانترنت ما يلى: "الحقائق التاريخية تقول إن إسرائيل (١٩٤٨م) لا علاقة لها من قريب أو بعيد بيهود بنى إسرائيل، وإن صهاينة اليوم الذين خرجوا على العالم بافتعال دولة لهم فى فلسطين، بناء على قرارات الأمم المتحدة، لا علاقة لهم ببني إسرائيل من قريب أو بعيد".

ويقول موقع ثان: "توجهت الصهيونية كحركة ولدت إشكينازية "خزرية" لحل مشاكل الإشكيناز "الخزر"؛ لذلك كانت الهجرات الأولى إشكينازية خزرية صافية".

ويقول موقع آخر: "قال العالم الأمريكي "رونالد ديكسون" أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة هارفارد في كتاب له بعنوان "جنس الإنسان وتاريخه"، "إن بلاد الأناضول وأرمينيا والقوقاز وأواسط آسيا هي المهد الأصلي للأكثرية العظمى لليهود المعاصرين في العالم، وأنهم ليسوا ساميين"، وفي الموقع نفسه يقول "يوجين بينار" أستاذ علم الأنثروبولوجيا بجامعة جنيف: "إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس السامي".

وهكذا أجمعت المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وكذلك بعض المواقع العلمية من خلال شبكة النت، على أن يهود "الخزر" ينتسبون في أصلهم إلى "يافث بن نوح" (عليه السلام)، وليس إلى "سام"، وأنهم هم الذين شكلوا غالبية يهود العالم اليوم، وأن دولة إسرائيل ما هي إلا جزءاً منهم، ولعل خير تأكيد لذلك موقف "مناحم بيجن" رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، عندما وقعت بين يديه نسخة من كتاب "آرثر كيستلر" القبيلة الثالثة عشرة، حين قال: "فليقولوا إننا خزر أو أي شيء آخر، نحن هنا موجودون بقوة"، فلم ينف "بيجن" نسبه للخزر بل أثبته.

اشتقاق اسم الخزر اصطلاحاً:

يذكر "نلوب" أن كلمة Kazar الألمانية تعني هرطقي، وقد اشتقت من اسم الخزر، باعتبار أنهم يهود، كما يذكر أن كلمة "الخزر" مشتقة من جذر الفعل التركي "قز" بمعنى يتجول أو يتبدى. وعلى ذلك يكون "الخزر" هم البداية، مع أن الفعل التركي Quzmak يستعمل دوماً بمعنى يجدف، وليس يتجول، وهذا يعني أن اسم "الخزر" يمكن أن يكتب ويفسر بأشكال ومعان متباينة، مثل: Quz-er، و Quz-ar، و Quzar، أو Qozar المشتقة من الجذر Quz بمعنى طرف الجبل المواجهة للشمال، فإذا زدنا عليها حروف eri أو er لأصبح المعنى شعب الشمال. وفي لغات أرمينية القديمة، ولغة جورجيا غالباً ما يشار إلى خاقان الخزر باسم ملك الشمال، وخزاريأ باسم الشمال.

ويضيف "نلوب" أيضاً أن اللغات السلافية بها عدة أشكال لكلمة "خزر" فيها حرف "O" الصوتي في الشطر الأول من الكلمة Khazar، وينقلنا هذا بالطبع إلى اشتقاق أخرى من كلمة Koza الروسية، ومعناها "نيل الخنزير"، ومن جذر كلمة Koz في العديد من الكلمات السلافية بمعنى الماعز. وفي اللغة العبرية تكتب الكلمة بشكل عام مع حرف O-U الصوتي، ويلفظ "كوزاري Kuzari"، و"كزر أو خزر Kuzarium"، ومنه جاءت كلمة Cozri، التي استخدمها Baxtrof وجمعها "كوزاريم Kozrim"، وفي الإغريقية تكتب كلمة "خزاروي Khozaroi" Khazareis، وأحياناً "خوتزير Khotzer"، وفي اللاتينية تكتب "تسازاري Chazari" و"غازاري Gazari".

وتتبقى الإشارة إلى أن "الخزر" قد عرفوا بأسماء وأشكال متعددة، فعند كُتاب العصور الوسطى عرفوا باسم "خوزارس Chozars، وخازيرس Khazirs، وأكاتيرس Akatzars، وأكاتيرس Akatirs". أما في الحوليات الروسية فقد عرفوا باسم Khwalissesugry، هذا وقد عرف الخزر في المصادر الجورجانية باسم "كاذاريا Kadzaria"، وهو الاسم الجيورجاني لمنجربيليا Mingrelia، وفي الصينية كوسا Kosa. على أن التاريخ الروسى يسمى "الخزر" الأغوز البيض White Ugrian، على النقيض من الهنغاريين الذين يطلقون عليه الأغوز السود، والمؤرخ الأرمنى موسى خورنى، يذكرهم باسم Khazris.

المعنى اللغوى لاسم الخزر:

يقول "ابن منظور" الخزر بالتحريك كسر العين بصرها خلقة، وقيل هو ضيق العين بصرها، وقيل: هو النظر الذى كأنه فى أحد الشقين، وقيل هو أن يفتح عينه ويغمضها، وقيل: الخزر هو حول إحدى العينين... وقيل الأخر الذى أقبلت حدقاته إلى أنفه.... وتخازر نظر بمؤخر عينه، والتخازر استعمال الخزر على ما استعمله سيبويه فى بعض قوانين تفاعل، فقال: إذا تخازرت وما بي من خزر... وتخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليمدد النظر... والخزر جيل خزر العيون. أما "ابن فارس" فيقول: "الخزر" هو ضيق العين وصغرها، يقال رجل أخزر، وامرأة خزراء، وتخازر الرجل، إذا قبض جفنه ليمدد النظر، قال: إذا تخازرت وما بي من خزر.

ويضيف "ابن سيدة" الخزر انقلاب الحديقة نحو اللحاظ وهو أقبح الحول، وقد خزرته خزرًا... والأخزر الأحول إحدى العينين. ومن هذه الرؤى لكل من "ابن منظور، وابن فارس، وابن سيدة"، يمكن القول: إن الخزر لغويًا يعنى ضيق العين لزيادة حدة رؤيتها.

ويقول "الزمخشري": "رجل أخزر ينظر بمؤخرة عينه"، وقيل: هو الذى ضاقت عينه وصغرت، وامرأة خزراء، وقوم خزر وهم إلينا خزر العيون.

قال الأخطل:

خزر العيون إلى رماح بعدما ... جعلت لضيه بالرماح خلا
وقال وإننى أرى عيونًا خزرًا ... وإنهم ليطلبون وتراً
وبه سمي الخزر وهم جيل من الترك. ويقول "ياقوت": خزر
بالتحريك وآخره راء، هو انقلاب فى الحديقة نحو اللحاظ، وهو أقبح الحال،
وقال فى كتاب العين: الخزر جيل خزر العيون... وقال "دعبل بن على"،
يمدح "آل على" (ع).

وليس حى من الأحياء نعرفه ... من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء فى دمائهم ... كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريض ومنهبة ... فعل الغزاة بأهل الروم والخزر

ثانيًا - الدراسة الأنثروبولوجية Anthropology ليهود الخزر:

ذكر "كيسلر" نقلًا عن "باتال" قوله: "لقد أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية، أنه ليس هناك جنس يهودي، حيث تكل قياسات الأجسام البشرية التي أجريت على مجموعة من اليهود، أنهم يختلفون بعضهم عن بعض، اختلافًا بيّنًا في كل الخصائص الجسدية الهامة (القامة، الوزن، لون البشرة، الدليل الرأسى، الدليل الوجهى، فصائل الدم)".

ويقول: "الواقع أن هذا هو الرأى الذى يسلم به اليوم علماء الأجناس والمؤرخون، وفضلاً عن ذلك هناك اتفاق عام على أن مقارنات مقاييس الجماع، وفحوص فصائل الدم تكل على أن هناك بين اليهود وأهل البلاد التى استضافتهم تشابهاً يفوق ذلك الذى بين اليهود أنفسهم، الذين يعيشون فى بلاد مختلفة.

وليس هناك من شك، فإن هجرات اليهود المتواصلة وعلاقتهم مع الأمم والشعوب، سواء كانت قهرية أم اختيارية، أنتجت جنساً مهجناً لا يمكن تعميمه على اليهود، فمثلاً: لا يمكن مقارنة يهودى "روتردام" المتشح بالحمرة الضخم البنية، بمثيله فى العقيدة يهودى "سالونيك" بعيون ذات الومضات الخاطفة، ووجهه الشاحب، وجسمه الهزيل، وبنيتة العصبية المزاج.

وبناء على ذلك يمكن الجزم بأن اليهود يتسمون بدرجة كبيرة من التباين المورفولوجى Morphology بين أنفسهم، كالذى يمكن وجوده بين

جنسين مختلفين. والدليل على ذلك أن جميع يهود أوروبا هم أصغر من الحجم العادى، وقد ذكر "رپلى Ripley" أن القصر فى القامة مرده إلى العوامل البيئية، وبعد مرور إحدى عشرة سنة على رأيه، قام "موريس فيشبرج" بعمل دراسة تعد أول مسح أنثروبولوجى، كشف من خلالها عن حقيقة مهمة، وهى أن طول الأطفال المهاجرين من شرق أوروبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بلغ فى المتوسط ٦٧,٩ سم، بينما كان متوسط طول آبائهم ٦٤,٢ سم بزيادة قدرها ٢,٧ سم فى جيل واحد، وهذا يعنى أن العوامل البيئية والحياة المعيشية لها تأثير على الأجسام، مما يؤيد رأى "رپلى".

ويزيد "فيشبرج" الموقف وضوحاً، فيقول بعد عمل إحصائية مقارنة الأطوال فى كل من بولنده والنمسا ورومانيا والمجر وغيرها، بين قامة اليهود، وقامت الأمميين Gentiles"، إن قامت اليهود اختلفت عن قامة السكان الأمميين الذين يعيشون بينهم، بمعنى أنهم كانوا طوالاً نسبياً، حيث كان السكان الأصليين طوالاً والعكس بالعكس، وفضلاً عن ذلك فقد تبين أنه داخل الشعب نفسه، بل فى داخل المدينة نفسها "وارسو"، يختلف طول قامة اليهود وسائر المواطنين، بالنسبة لدرجة ازدهار الحى الذي يعيشون فيه.

يؤيد ذلك الدكتور جمال حمدان، بقوله: "إن القامة صفة جسمية مرنة مطاطة تتكيف بالبيئة الطبيعية والاجتماعية بالصحة والتغذية، وإنها صفة مكتسبة وظاهرة اجتماعية مثلما هى أو أكثر مما هى وراثية جامدة، وأغلب الظن أن قصر قامة اليهودى هو وليد الجيتو Ghetto، وحياة التوتر

والخوف من الاضطهاد، كما أن من المعتقد أن تفشى عادة الزواج المبكر جداً بين اليهود، حتى وقت قريب كانت مسئولة عن نوع من الانحطاط الجسمي انعكس على القامة، أما حين وحيث تزول هذه الظروف البيئية فإن قامة اليهودى تتطرق لتقترب من قامة الجنيتل، كما فى حى "الوست إند" الراقى بلندن، وكما حدث حديثاً فى الولايات المتحدة".

وهكذا وافق الدكتور جمال حمدان كلاً من "ريلى، وفيشبرج" رأيهما فى مدى تأثير البيئة الاجتماعية على اليهود أكثر من تأثير العوامل الوراثية، بل تأثير مستوى المعيشة على اقتراب الطول بين اليهودى والجنيتل حتى على مستوى الأحياء السكانية.

وإذا كان هناك ثمة اختلافات فى محيط الصدر، وسعة الرئتين لصالح الأميين (الجنيتل)، عن يهود العزلة (الجيتو)، فإن مرد ذلك إلى طبيعة نمط الحياة والبيئة إلى جانب نوع الحرفة، فالحرفة الداخلية التى فرضها الجيتو على اليهودى، لا سيما الحرف اليهودية التقليدية، كالخياطة والصياغة وصناعة الأحذية، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الظاهرة، التى تماثل القامة فى عدم كونها صفة جنسية وراثية أصلية، بل صفة متغيرة تبعاً لتحسن الأحوال البيئية والمعيشية، فطالما تحقق ذلك اختفت تلك الظاهرة.

وإذا تركنا الطول وبعض الحرف، واتجهنا إلى قياسات الجماجم؛ لتبيننا وجود تشابهاً ملموساً بين جماجم اليهود ومثيلاتها الوطنية، فى حين

يظهر الاختلاف واضحاً بين جماع اليهود فيما بينهم فى بقاع مختلفة، ولنأخذ مثلاً: يهود السفرديم، ويهود الإشكيناز، فالسفرديم لهم رعوس طويلة، أما الإشكيناز فرعوسهم عريضة، وقد استنتج "كوتشيرا" من هذا الاختلاف أن الأصل الجنسى لليهود الخزر الإشكيناز مستقل عن أصل اليهود السفرديم، وهذا يؤكد ما طرحناه سابقاً فى أصل يهود الخزر ونسبهم إلى يافث وليس إلى سام، وبالطبع يؤيد هذا ما جاء فى سفر التكوين، وهذه مواليد بنى نوح: سام وحام ويافث، وولد لهم بنون بعد الطوفان، بنو يافث: جومر ومأجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس، وبنو جومر إشكيناز وريغات وتوجرمة.

وهناك أيضاً سمات جسدية تنفى عن اليهود وحدة الجنس، فمثلاً: مع تميز اليهود بشعر داكن وعيون داكنة، فإن "كوماس" يقرر أن ٤٩% من يهود بولنדה كان شعرهم فاتح اللون، و٤٥% من أطفال اليهود فى مدينة النمسا كانوا شقراً Aufous، على حين كانت نسبة الشقر بين أطفال غير اليهود أكبر من ذلك.

وربما يُشاكل هذا ما ذكره "ابن سعيد" عن يهود الخزر، إذ قال "أما عن الخزر" الذين ينزلون فى شمال الأرض المأهولة قرب الإقليم السابع وبلادهم مطيرة؛ لذلك فإن بشرتهم بيضاء، وعيونهم زرقاء، وشعرهم كثيف ضارب إلى الحمرة فى الغالب.

وإذا انتقلنا إلى الأنف، فالأقنى المحذب الذى ألصق باليهود، وأشاعه رسامو الكاريكاتير حتى صار علماء، فليس فى الحقيقة صفة يهودية، إذ الملاحظات الأنثروبولوجية تثبت أولاً: أنه ليس منتشرًا بين اليهود بدرجة خاصة أو غير عادية. وثانيًا: أنه منتشر بين غير اليهود بلا حدود، ففي بولندا لم تزد نسبة حدوثه بين اليهود عن ٩% من العينات التى أجرى البحث عليها، وهى نفس نسبة البولنديين؛ لكن الأنف المستطيلة هى الأكثر شيوعًا بين اليهود، فمثلًا أنوف يهود اليمن تصل إلى ٦٠% فى العينة، بل وهناك نسبة من الأنف المقعر، وفى إشكيناز أوربا تسجل البيانات سيادة الأنف المستقيم، فى حين يقل الأنف المحذب عن النصف، بل يكثر المقعر فى يهود روسيا.

ومن ناحية أخرى فالأنف الأقنى المحذب شائع بوفرة بين غير اليهود، وجد بين ثلثى العينة فى جنوب شرق بولندا، وهو منتشر كثيرًا بين العرب والأفغانيين وكثير من الأوربيين، وبهذا لا يمكن اتخاذ الأنف اليهودى كدلالة خاصة، وإنما هو تشكلى أو تشوه خاص يشمل انخفاض أو تدنى طرف الأنف مع ارتفاع جناحى المنخرين حتى ليبدو أن معلقين على الوجنتين، مما يؤدى إلى ظهور قسبة الأنف مرئية بوضوح، والظاهرة كلها تسمى بالمنخر Nostrility.

يبقى ما يقال عن السحنة اليهودية، فهى ليست دلالة أو صفة عامة على اليهود، وإن وجدت عند بعض الإشكيناز فى أوربا، فهى لا تكاد توجد

عند إشكيناز أمريكا، كما أنها ليست معروفة عند غير اليهود، ومن ثم فهي كثيرًا ما تخدع العين فيأخذ غير اليهودي على أنه يهودي، ويعرف اليهودي على أنه غير يهودي. والأهم أن سحنة الوجه ليست صفة جسمانية بقدر ما هي تعبير اجتماعي مكتسب من البيئة الاجتماعية صنعها "الجيتو" ولم تصنعها الوراثة أو البيولوجيا. تلك إذن مجموعة من الصفات الجسمية المنسوبة إلى اليهود أو الملاحظة فيهم، لا تدل على الأصل العرقي ولا تحسم مشكلة، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على انعدام أية وحدة بين يهود العالم في تلك الصفات. وتأتي فصيلة الدم كأقوى دليل على أن اليهود لا يمثلون جنسًا نقيًا، فيقول "باتاي": تظهر جماعات اليهود فيما بينها اختلافات كبيرة في فصائل الدم، بينما تكون أوجه الشبه ملموسة مع أبناء بيئتها غير اليهود، ويتضح ذلك في الجدول الآتي:

البلد	اليهود	غير اليهود
ألمان	٢,٧٤	٢,٦٣
رومانيون	١,٥٤	١,٥٥
بولنديون	١,٩٤	١,٥٥
مغاربة	٠,٦٣	٢,٨٣
عراقيون	١,٢٢	١,٣٧
تركستانيون	٠,٩٧	٠,٩٩

وهكذا أوضح الجدول مدى التقارب الكبير في تشابه فصائل الدم بين اليهود، والسكان الوطنيين الذين يعيشون بينهم، ويمكن تلخيص ذلك في صيغتين رياضيتين:

$$١. \text{ غ أ - ي أ } < \text{ ي أ - ي ب }$$

$$٢. \text{ غ أ - غ ب } = \text{ ي أ - ي ب }$$

أى أن المعيار الأنثروبولوجى بين غير اليهودى "غ"، واليهودى فى بلد معين "أ" هو أقل من الاختلاف بين اليهودى "ي" فى بلاد مختلفة أ ، ب. وأن اختلاف بين غير اليهودى "غ" فى البلاد أ ، ب يشبه الاختلاف بين اليهودى "ي" فى أماكن مختلفة أ ، ب.

وعلى ضوء ذلك فإن الاختلاف الواضح بين اليهود فى الأقطار المختلفة من حيث الخصائص الجسمية، وتنوع ترددات جينات فصائل الدم، تجعل أى تصنيف جنسى موحد لهم أمراً متناقضاً.

والتساؤل المهم بعد هذه الدراسة هو، هل لليهود حق فى فلسطين أم أنها أرض عربية بالنسبة لهم؟ وهل هم حقاً جنس نقى تغير بمؤثرات بيئية فحسب، أم طائفة دينية مؤلفة من عناصر عرقية اكتسبت بالتحول من دين لآخر، وبالاختلاط والتزاوج أثناء نزوحهم إلى مختلف أنحاء العالم صفاتهم التى ألمحنا إليها؟ وسوف نلتصم الإجابة من توراتهم، ومن واقع التاريخ.

The Wanderings of Patriarchs:

كانت فلسطين أرض غربة بالنسبة لـ "سيدنا إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب" (عليهم السلام)، فقد جاء في "سفر التكوين" أن "سيدنا إبراهيم" ترك حاران وانتقل "من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قاذش وشور، وتغرب في جرار، وقال "إبراهيم" عن سارة امرأته هي أختي ...، فأرسل "أبيمالك" ملك جرار، وأخذ "سارة" فجاء الله إلى أبيمالك في حلم وقال له ... فإنها متزوجة ببعل ... فقال يا سيد ... ألم يقل هو لى: إنها أختي، وهى أيضاً نفسها قالت هو أختي ... فقال له الله فى الحلم ... فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي ... فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وإمءاً وأعطاه لإبراهيم ورد إليه سارة امرأته".

وهكذا كانت فلسطين بنص التوراة أرض غربة لسيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وكان الفلسطينيون يحكمون بها، بل كانت يدهم هى العليا، كما ظهر فى الحوار الذى دار بين "إبراهيم" (عليه السلام)، والملك أبيمالك بشأن السيدة سارة.

وكما كانت فلسطين أرض غربة بالنسبة لسيدنا "إبراهيم" (عليه السلام)، كانت كذلك لولده إسحاق، حيث نزع هو الآخر إلى نفس المدينة الفلسطينية، عندما أصابت الأرض مجاعة. "وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان فى أيام إبراهيم، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين

بجرار، وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك؛ لأني لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد". وبالتالي كانت أرض فلسطين دار غربة لكل من سيدنا إبراهيم وولده إسحاق (عليهما السلام).

فإذا انتقلنا إلى "يعقوب" (الشيخ)، لرأينا سفر التكوين يقول: "وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان". وعلى هذا تكون أرض فلسطين "أرض كنعان" هي دار الغربة لكل من سيدنا إبراهيم وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب (عليهم السلام).

هم من غربة فلسطين إلى غربة مصر:

كانت مصر هي الغربة الثانية بعد فلسطين لبني إسرائيل، إذ "ارتحل إسرائيل، وكل ما كان له، وأتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لأبيه إسحاق، فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل، وقال "يعقوبُ يعقوب"، فقال: ها أنذا، فقال: أنا الله "إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر، لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر ... فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون إلى مصر، وأخذوا مواشيهم وكل مقتاتهم التي اقتتوا في أرض كنعان، وجاءوا وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر".

وهكذا جاء "يعقوب" إلى مصر دار غربته الثانية ومعه أبناءه من زوجاته (ليئة، وزلفة، وراحيل، وبلهة) فمن ليئة بنت لابان (رأوبين وبنيه الثلاثة، وشمعون وبنيه الستة، والذي كان منهم شاول ابن الكنعانية، ولاوى وبنيه الثلاثة، ويهوذا وبنيه وبنى بنيه وكلهم خمسة، ويساكر وبنيه الأربعة، وزبولون وبنيه الثلاثة). وقد ولدوا فى فدان أرام مع دينة ابنته وعددهم ثلاث وثلاثون، ومن "زلفة" صفية ليئة (جاد وبنيه، وأشير وبنيه وعددهم ست عشرة نفساً)، ومن "راحيل" (يوسف وبنيامين، ومنهما أربعة عشرة)، ومن "بلهة" صفية راحيل (دان وبنيه، ونفتالى وبنيه وعددهم سبع). ليبلغ العدد الذى رافق يعقوب، ومن ولد بمصر ليوسف سبعون نفساً.

فكانت مصر دار غربته ثانية لبنى إسرائيل، وعند لقائه بيوسف، قال "يعقوب": "ها أنذا أموت، ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم، وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق أخوتك، أخذته من يد الأموريين بسيفى وقوسى. ولو تأملنا هذه الكلمات لرأيناها تحمل تناقضاً تاريخياً، فلم تكن فلسطين أرض بنى إسرائيل ليعودوا إليها، بل كانت أرض "كنعان" كما جاء فى سفر التكوين نفسه، حتى السهم الذى وعد به يعقوب ابنه "يوسف" هو من أملاك الأموريين، وقد أخذه منهم قسراً.

وجدير بالملاحظة أنه لم يولد "ليعقوب" (اليهوذا)، بأرض فلسطين سوى ابنه "بنيامين" من زوجته "راحيل" بنت "لابان"، فهل يعطى مولده الحق لبنى إسرائيل حتى يعتبروا أرض فلسطين هى أرض ميعادهم، والتي ثبت

بالدليل القاطع أنها أرض غربتهم، فإذا كان ذلك كذلك فما بالنا لو كان كل أبناء "يعقوب" قد ولدوا بها.

ولا يفوتنا أن نذكر أن "إسحاق ويعقوب" كانا على ملة "إبراهيم" (عليه السلام)، مسلمين حنيفيين، ولم يكونا يهوديين، مما يجعل عصرهم مختلفاً تماماً عن عصر "موسى" (عليه السلام)، واليهود يؤيد ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣).

ويقول جل شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٠).

ومن هنا أطلق علماء الآثار على هذا العصر عصر الآباء الجوالين، وعن نقاوة الجنس اليهودي، يقول: "ول ديورانت" بخلاف ما قدمنا: "والحق أن وجود جنس نقي في الشرق الأوسط بين الآلاف من تياراته الجنسية التي تتلاطم فيه أمر يتطلب مستوى من الفضيلة لا يعقله عاقل، على أن اليهود كانوا أنقى أجناس الشرق الأدنى غير النقية".

وبهذا أكد "ديورانت" عدم نقاء الجنس اليهودي، كما أثبتنا ذلك من خلال الدراسة السابقة، وبالطبع يقودنا هذا الكلام إلى الحديث عن قضية الشتات والاختلاط بالنسبة لليهود.

الشتات Diaspora والاختلاط:

جاء في البروتوكول الحادي عشر، لحكام صهيون: "والله قد أنعم علينا نحن الشعب المختار بنعمة السبي والجلاء، والتفرق والشتات في الأرض، وهذا الأمر الذي كان فيما مضى جل ضعفنا، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التي أفضت بنا الآن إلى أن نلج الباب الذي منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله، وأما ما بقي علينا أن نبينه ونرفعه فوق الأساس فليس علينا بعسير".

وهكذا يعتبر اليهود الشتات من أسباب قوتهم ودافعهم إلى بسط سيادتهم، على الرغم من الضعف الذي أصابهم في تلك الفترة، ويمكن أن نميز بين ثلاثة عصور للشتات (البابلي، والهليني، والروماني). أما عن "البابلي" فيذكر تاريخياً أن "سرجون" ملك "أشور" قام بنقل كثير من يهود السامرة من أبناء القبائل العشر إلى بابل، وأسكن بدلاً منهم بعض أسر البلاد المفتوحة. وهذا في حد ذاته شتاتاً واختلاطاً لليهود في نفس الوقت، سواء للمستتبين مع من يقيمون بينهم، أو من تبقى منهم مع الذين أتى بهم سرجون.

ويأتي "تبوخ نصر" عام (٥٨٦ ق.م) لغزو بني إسرائيل فقتل منهم خلقاً كثيراً، وسبي بقيتهم على رأي "ابن العبري"، وقضى على مملكة يهوذا

فى الجنوب، والتى ضمت قبيلتى "يهودا وبنيامين"، ثم دمر الهيكل. جاء فى سفر التكوين: "جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها، وبنو عليها أبراجًا حولها، ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيًا ... اشتد الجوع فى المدينة، وهرب جميع رجال القتال ليلاً من طريق الباب بين السورين اللذين نحو جنة الملك، وكان الكلدانيون حول المدينة مستديرين فذهبوا فى طريق البرية، فتبعت جيوش الكلدانيين الملك فأدركوه فى بركة أريحا، وتفرقت جميع جيوشه عنه، فأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة، وكلموه بالقضاء عليه وقتلوا بنى صدقيًا أمام عينيه، وقلعوا عيني صدقيًا وقيدوه بسلسلتين من نحاس، وجاءوا به إلى بابل.

وهكذا أودع "صدقيًا هو" السجن، وقتل أبناؤه، ثم قام "نبوزردان" بالزحف إلى أورشليم، "جاء نبوزردان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم، وأحرق بيت الرب وبيت الملك، وكل بيوت أورشليم، وكل بيوت العظماء أحرقتها بالنار، وجميع أسوار أورشليم مستديرة هدمها كل جيوش الكلدانيين، الذين مع رئيس الشرط وبقية الشعب الذين بقوا فى المدينة، والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزردان رئيس الشرط، ولكن رئيس الشرط أبقي من مساكن الأرض كرامين وفلاحين".

فبنص التوراة دمرت أورشليم، وسبى أهلها تمامًا فيما عرف بالسبى البابلى أو الشتات البابلى، فلم يتبقى لليهود فى أرض فلسطين أرض غربتهم وليس معادهم شئ.

لكن اليهود فى مناهم بدأوا تنظيم أنفسهم سرًا للتآمر على "بابل والعراق"، وإنشاء حركة صهيونية فى ذلك الوقت السحيق فى التاريخ، وكان لتلك الحركة دعائها الذين "تباكوا على حالهم، وألفوا الأناشيد والمزامير من أجل ذلك. جاء فى المزامير:

على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضا، عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف فى وسطها علقنا أحوادنا؛ لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمه ومعذبونا سألونا فرحًا قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون كيف نرنم ترنيمه الرب فى أرض غريبة؟ إن نسبك يا أورشليم تنسى يميني؛ ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى، اذكر يارب لبنى آدم يوم أورشليم القائلين هُدُوا. هُدُوا حتى إلى أساسها. يا بنت بابل المخربة، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذى جازيتنا! طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة!

وهكذا نرى الفكر الصهيونى واضحًا، حيث الإحساس بالاغتراب واليكاء بسبب الأسر، والتعذيب والتغنى بأورشليم، وإظهار عداة البشر لها،

بالرغم من أنها كما أثبتنا دار غربة، ثم الدعوة الصريحة للعدوان على بابل وضرب أطفالها بالصخر.

وبلاحظ أن حملة الدعاية الصهيونية تلك للعودة إلى أورشليم لم تكن وفقاً على يهود الأسر البابلي وحدهم، بل كان للأنبياء نصيب فيها. فهذا هو "حزقيال" وهو من أنبياء تلك الفترة، يقول: "كانت على الرب، فأخرجني بروح الرب، وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاماً، وأمرني عليها من حولها، وإذا هي كثيرة جداً على وجه البقعة، وإذا هي يابسة جداً، فقال لي: يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام ها أنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً، وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أنني أنا الرب.

فتنبأت كما أمرت. وبينما أنا أنتبأ كان صوت، وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها، وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح، فقال تنبأ للروح، تنبأ يا ابن آدم، وقل للروح هكذا قال السيد الرب، هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا، فتنبأت كما أمرني، فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً، ثم قال لي: "يا ابن آدم هذه العظام هي كل بيت إسرائيل، هاهم يقولون نبيست عظامنا وهلك رجاؤنا قد انقطعنا؛

لذلك تنبأ وقل لهم: هكذا قال السيد الرب: ها أنذا أفتح قبوركم، وأصعدكم من قبوركم يا شعبي، وأجعل روحى فيكم فتحيون، وأجعلكم فى أرضكم، فتعلمون أنى أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب.

وهكذا أوضح سفر "حزقيال" أن الله عز وجل مع اليهود يحيى عظامهم ويجدد فيهم الأمل حتى يعودوا إلى أرضهم؛ لأنهم شعبه المختار.

واليهود بالطبع لم يتورعوا عبر تاريخهم عن التعاون مع قوى الظلم والعدوان، ولو تسبب ذلك فى كوارث للبشرية، فقديمًا تعاونوا مع الفرس لتنفيذ مخططاتهم للتوسع فى العراق، وأجزاء من شبه جزيرة العرب، وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين)، ثم مصر التى احتلت بقيادة "قمبيز" الفارسى، الذى استعان باليهود، ودل على ذلك مجموعة من الوثائق كتبت باللغة الآرامية على ورق البردى فى جزيرة "قيلة" بأسوان، وأثبتت مدى التعاون بين اليهود والفرس فى عدد من المجالات. هذا ما اتصل بالشتات البابلى.

أم الشتات الثانى: وهو "الهينى" فيمتد منذ الإسكندر الأكبر، وحتى عصر البطالمة، وكان اتجاه اليهود فيه نحو الغرب، على عكس الشتات البابلى، وبالرغم من مقاومة بعض اليهود للصبغة الهلينية فيما عرف بالثورة المكابية، إلا أن اليهود انتشروا وتشتتوا فى البلاد، ففى مصر كان ثلث سكان الإسكندرية من اليهود، وكذلك وُجد اليهود فى كل من سوريا وآسيا

الصغرى، والبلقان، وسواحل البحر الأسود الشمالية، وجنوب روسيا، فضلاً عن يهود الخزر عين بحثنا على سواحل بحر قزوين وفي القرم. ونأتى إلى الشتات الثالث: وهو الرومانى، وقد بدأ مع ثورة المكابيين، واكمل مع الغزو الرومانى لفلسطين الذى رد على تمرد اليهود بتخريب اورشليم والهيكل، وبإبادة اليهود فى مذبة عام ٧٠ ميلادية على يد "تيثوس"، وبالرغم من عودة بعض اليهود إلى الثورة عام ١٣٥م، إلا أن الإمبراطور "هادريان" قام بعمل مذبة لهم، أنهت وجودهم فى فلسطين. ومهما كانت أرقام الضحايا فى المذبة الرومانية مبالغ فيها، فإنه على الأقل راح ضحيتها ما لا يقل عن ستمائة ألف بين قتيل وأسير، ثم شرد من تبقى؛ لأن الرومان حرموا على اليهود دخول القدس، فطردوا البقية الباقية من فلسطين، وكان هذا هو التاريخ وإلى الأبد الذى انتهت فيه علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكانياً، إنه الخروج الأخير على رأى الدكتور جمال حمدان، هذا عن الشتات فى العصور الوسطى، والذى أعقبه شتات آخر، فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى الولايات المتحدة وفلسطين، وهم يهود شرق أوربا، ولاسيما الإشكيناز Ashkenazim.

وبالطبع تطالب الوضع اختلاط هؤلاء المشتتين مع سكان البلاد. مما يؤكد عدم نقاوة الجنس اليهودى، كما أوضحنا من قبل، ولم يكن هذا الاختلاط وفقاً على العصر الحديث فحسب، وإنما عاصر الاختلاط اليهود منذ عصر أنبياءهم؛ لأن هناك أمم عاصرتهم مثل الأموريين، وكانوا شقراً

مستطيلي الرأس طوال القامة، والحبشيين وكانوا جنسًا أسمر البشرة، والكوشيين Gushshites، وهم جنس شبه زنجي، وعاصرهم أيضًا الحيثيون، فضلًا عن الفرس والعرب وغيرهم.

وقد تزوج العبرانيون القدامى من كل هؤلاء، فيذكر أن سيدنا "إبراهيم" تزوج من هاجر المصرية، ومن قطوراء التركية، وتزوج سيدنا "إسحاق" من آرامية هي ابنة خاله، وتزوج "عيسو" من ابنة عمه إسماعيل العربية. كما تزوج "ياهوذا بن يعقوب" شرع الكنعانية، وقد ولد الملك "شاعول" من أم كنعانية، وكانت أم سيدنا "داود" "روت" المؤابية، وكان سيدنا سليمان من أم حبشية، وتزوج من نساء كثيرة: "وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحبشيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم. كما تزوج "شمشون" من دليلا الفلسطينية، وأيضًا تزوج سيدنا موسى من "زيبورا" الميديانية.

وهكذا لم يكن اليهود جنسًا نقيًا بل مهجنًا منذ البداية، وهناك مصدر مهم للتهجن، وهو الأعداد الوفيرة من أكثر الأجناس اختلافًا، أولئك الذين تحولوا إلى اليهودية، مثل: فلاشا الحبشة ذوو البشرة السوداء، ويهود "كاي فنج" الصينيون، واليهود اليمنيون، إلى أن نصل إلى يهود الخزر محور بحثنا. وكل هذا يؤكد عدم نقاء الجنس اليهودي على مر التاريخ حتى تسقط دعاويهم في هذا الشأن.

ثالثاً - رسوم يهود الخزر:

توضح الدراسة رسوم الخزر في نظام حكمهم، وكيفية اختيار ملكهم، ومدى ما يحظى به من تقديرهم واحترامهم وطاعتهم، ونظام قضائهم، وكذلك قيادة جيوشهم، وطريقة دفن موتاهم لاسيما ملكهم، وأخيراً عادة حرق موتاهم.

أ - ثنائية الحكم واختيار ملك الخزر:

الثنائية هي مظهر الحكم في دولة يهود الخزر، فهناك ملكان يدعى أحدهما "خاقان الكبير"، والآخر "خاقان به"، ومع أن الأول ليس له من الأمر شيء، فإن الحكم لا يستقيم إلا به. أما الآخر فهو الذي يقود الجيوش ويسوسها، ويدبر أمر المملكة ويرعى شئونها.

ويشير "الكرديزي" إلى هذه الثنائية مع تصحيف طفيف، فيذكر أن للخزر ملكان عظيمان، الأول يدعى "خاقان الخزر"، الذي ليس له إلا الاسم فقط، والآخر يدعى "الشاد" وهو الذي يضبط عمل الدولة، والحشم وغير ذلك.

ويؤكد "المسعودي" هذه الثنائية بشيء من التفصيل، فيذكر أن للخزر ملكان أحدهما يدعى "خاقان"، والآخر يدعى "ملك الخزر"، ومن رسم "خاقان" أن يكون في أيدي ملك الخزر يقطن في جوف قصره، لا يعرف الركوب، ولا الظهور للخاصة ولا للعامة، ولا الخروج من مسكنه معه، حرمه، وليس له من

الأمر شيئاً، ومع ذلك فأمر المملكة لا يستقيم إلا به، فإذا أُجِبت أرهن الخزر أو تعرضت لخطر محقق، أو أغارت عليهم أية أمة من الأمم، أو فاجأهم أمر من الأمور، نفرت الخاصة والعامة إلى ملك "الخزر" قائلين له: "قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه، وقد تشاعمنا به، فاقتله أو سلمه إلينا نقتله، فربما سلمه إليهم فقتلوه، وربما تولى هو قتله، وربما رق له فدافع عنه".

وهكذا أوضح "المسعودي" أهمية ملكي الخزر "في الحكم"، فـ"خاقان بالرغم من أنه ليس له من الأمر شيء إلا أن الحكم لا يستقيم إلا بوجوده، وأما الآخر فهو المسئول عن إدارة أمر المملكة، واختيار "الخابان" أو التخلص منه.

← اختيار ملك الخزر:

أما اختيار ملك الخزر فله ارتباط وثيق بثنائية الحكم؛ لذلك يقول "الإصطخري": "وأما سياستهم وأمر المملكة بهم فإن عظيمهم يسمى "خابان خزر"، وهو أجل من ملك الخزر، إلا أن ملك الخزر هو الذي يقيمه، وبعد تأكيد هذه الثنائية يقول: "وإذا أرادوا أن يقيموا هذا "الخابان" جاءوا به، فيخنقونه بحريرة حتى إذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا له كم تشتهي مدة الملك؟ فيقول كذا، وكذا سنة، فإن مات دونها، وإلا قتل إذا بلغ تلك السنة".

وبالطبع أوضحت هذه الأسطر القليلة الارتباط بين ثنائية الحكم واختيار "خابان الخزر" فلملك "الخزر" دخل كبير في اختيار هذا الخاقان.

بيد أن "ابن حوقل" يتعرض لهذه الثنائية والارتباط بينها وبين اختيار ملك "الخزر" بطريقة مغايرة، فيقول: "أما سياستهم وأمر المملكة فيهم فإنها تنتمي إلى عظيمهم المسمى "خاقان خزر" وهو أجل من ملك الخزر المسمى "باك"؛ لأن ملك الخزر به ينعقد، وهو الذى يقيمه ويثقفه، وإذا أرادوا أن يقيموا ملكاً بعد هلاك ملكهم جاء هذا الخاقان به فذكره الله ووعظه وعرفه ما عليه وما له من حقوق الملك وأثقاله، وما ينوبه من الإثم والوزر، فيما يتكلفه إن قصر فيه أو عمل بغير الواجب منه، وأتى غير الصواب والحق في أحكامه... فإذا جاء به ليقعده في المملكة ويسلموا عليه بها خنقه خاقان الخزر بحريه، فإذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا له: كم تحب أن يكون مدة ملكك، فيقول كذا وكذا. فإن مات دون تلك المدة فبقضاء الله مات، وإن بقى بعد ما ذكره بلسانه قتل بعد بلوغه الأجل".

وهكذا أكد "ابن حوقل" ثنائية الحكم فى بلاد الخزر، ومدى الارتباط الوثيق بينها وبين اختيار الملك؛ لكن "ابن حوقل" خالف الاصطخرى فى طريقة الاختيار، حيث جعل "خاقان الخزر" هو الذى يقوم باختيار الملك بعد تأديبه وتنقيفه ليكون مستعداً لتحمل المسؤولية، بينما قال بعكس ذلك "الاصطخرى" تجعل ملك الخزر هو الذى يختار الخاقان، ومدة حكم ملك الخزر "أربعون سنة" إذا جاوزها يوماً واحداً قتلته الرعية وخاصته، وقالوا هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه".

ويُلَقَّى "كيسلتر" الضوء على ثنائية الحكم في بلاد الخزر كمظهر من رسومهم، فيذكر: أن الخاقان يمثل السلطة الدينية، بينما نائبه يمثل السلطة الدنيوية، وهو نظام شبيه بنظام "اليابان" في العصور الوسطى، حيث كانت السلطة الدنيوية مركزة في يد الشومان، بينما كان "الميكادو" يعبد بوصفه رئيساً صورياً مقدساً.

وهكذا تدل الثنائية في ذهن يهود الخزر على تميز مطلق بين ما هو مقدس وما هو دنيوي، وقد تبدو خصائص تقديس الخاقان فيما رواه ابن فضلان، والاصطخري، وابن حوقل.

يقول "ابن فضلان": "لا يدخل على الخاقان الأكبر إلا الملك متواضعاً يظهر الإخبات والسكينة، ولا يدخل عليه إلا حافياً وببيده حطب، فإذا سلم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب، فإذا فرغ من الوقود جلس مع الملك على سريرته عن يمينه، ويخلفه رجل يقال له كندر خاقان، ويخلف هذا أيضاً رجل يقال له جاد شيغر". ويذكر "ياقوت" أن الملك الأكبر لا يجلس الناس ولا يكلمهم ولا يدخل عليه أحد غير ما ذكر.

وهذا دلالة على إجلال خاقان الخزر الأكبر، ويقول "الاصطخري": "الخاقانية لا تصلح إلا في أهل بيت معروفين، والخابان يعظم ويُسجد له إذا دُخل إليه، ولا يصل إليه أحد إلا نفر يسير مثل الملك ومن في طبقتة، ولا يدخل عليه الملك إلا لحادثة، فإذا دخل عليه تمرغ في التراب وسجد، وقام

من بعد حتى يأذن له بالتقرب، وإذا خربهم حزب عظيم أخرج فيه خاقان، فلا يراه أحد من الأتراك ومن يضافيهم من أصناف الكفر إلا انصرف ولم يقاتله تعظيماً له.

وينقل "ابن حوقل" تقريباً نفس النص عن الاصطخرى، ويضيف "ابن فضلان" أنه إذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه، ويكون بينه وبين المواكب ميل، فلا يراه أحد من رعيته إلا خراً لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يجوزه.

وعن طاعة "الخزر" العمياء لملكهم إجلالاً وإكباراً له، يقول "الاصطخرى"، وعنه نقل "ابن حوقل" بتصحيف طفيف "يبلغ من طاعتهم لملكهم أن أحدهم ربما يجب عليه القتل، ويكون من كبرائهم فلا يجب الملك أن يقتله ظاهراً فيأمره أن يقتل نفسه فينصرف إلى منزله ويقتل نفسه، وعن وفاة "الخاقان" الكبير ودفنه لم يمر بقبره أحد إلا ترَّجَل وسجد، ولا يركب ما لم يرغب عن قبره، هذه مظاهر تقديس الخزر لملكهم.

أما عن رسم يهود الخزر في القضاء، فيقول "الاصطخرى": "والملك سبعة من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان، وإذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء، ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه، وإنما يصل إلى هؤلاء الحكام، وبين هؤلاء الحكام يوم القضاء، وبين الملك سفير براسلونة فيما يجرى من الأمر وينتهون إليه فيرد عليهم أمره ويمضونه".

ويقول "المسعودي" ورسم مملكة الخزر لأن يكون فيها قضاة سبعة: اثنتان منهم للمسلمين، واثنتان للخزر يحكمان بحكم التوراة، واثنتان لمن بها من النصرانية يحكمان بحكم النصرانية، وواحد للصقالبة والروس، وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية، وهى قضايا عقلية، فإن ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا إلى قضاة المسلمين فتحاكموا إليهم وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الإسلام.

ومن رسم ملك الخزر فى حياته الخاصة، أن يكون له خمس وعشرين امرأة، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه، يأخذها طوعاً أو كرهاً، وله من الجوارى السرارى لفراشه ستون ما منهن إلا فائقة الجمال، وكل واحدة من الحرائر والسرارى فى قصر مفرد لها فيه مغشاة بالساج، وحول كل قبة مضرب، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها، فإذا أراد أن يطأ بعضهن بعث إلى الخادم الذى يحجبها فيوافى بها فى أسرع من لمح البصر حتى يجعلها فى فراشه، ويقف الخادم على باب قبة الملك، فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة.

ب- قيادة الجيوش:

ومن رسوم الخزر فى قيادة جيوشهم، يقول "ابن رسته": "قد وظف ملكهم إيشا على أهل القوة واليسار، منهم فرساناً على قدر أموالهم واتساع أصولهم فى المعاش، وهم يغزون البجناكية فى كل سنة و"إيشا" هذا يتولى

الخروج بنفسه، ويخرج في مغازيه بجساكره، وإذا خرجوا في وجهه من الوجوه خرجوا بأسلحة تامة محلاة وأعلام وطرادات وجواشن محكمة، وركوبه في عشرة آلاف فارس، ممن هو مرتبط أجري عليهم، وفيهم من قد وظف على الأغنياء، وإذا خرج لوجه من الوجوه هبئ بين يديه مثل شمعة وربما شعلة، على صنعة الدف يحملها فارس يسير به أمامه، فهو يسير وعسكره خلفه يبصرون ضوء تلك الشمعة، فإذا غنموا جمعوا تلك الغنائم كلها في معسكره، ثم اختار "إيشا" منهم ما أحب، وأخذه لنفسه، وأطلق لهم باقى الغنيمة ليقسموها بينهم.

ومن رسمهم في الناحية العسكرية يقول "الاصطخرى": "وللملك من الجيش اثنا عشر ألف رجل، وإذا مات منهم رجل أقيم آخر فى مكانه"، ويقول: "ابن فضلان": "خاقان به هو الذى يقود الجيوش ويسوسها، ويدير أمر المملكة ويقوم بها، ويظهر ويغزو، وله تدعى الملوك الذين يصاقبونه، وإذا بعث خاقان الخزر سرية لم تول الدبر بوجه ولا سبب، فإن انهزمت قتل كل من يتصرف إليه منها، فأما القواد وخليفته فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهمهم بحضرتهم لغيرهم، وهم ينظرون. وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم، وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصانهم، وربما علقهم بأعناقهم فى الشجر، وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسه .

ويقول "المسعودى": "متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين، وقف المسلمون فى عسكره منفردين عن غيرهم؛ لا يحاربون أمل ملتهم

ويحاربون معه سائر الناس من الكفار. ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص، منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوز، ومنهم رامحة أيضاً على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح.

ويقول "ابن حوقل": "ويقال إن جميع جيش خزران اثنا عشر ألفاً مثبتين بالراتب، إذا مات منهم رجل أقيم مكانه غيره".

ويقول "الكريزى": "يذهب الخزر كل عام إلى ولاية جنناك للغزو، ويجلبون من هناك المال والسبايا، ويأخذ الشاد خواجه ويوزع على الجيش، ولهم أثناء غزو البرداس الأعلام والطرادات والجواشن المحكمة والمعارك الضارية. وحينما يركب ملك الخزر يركب معه عشرة آلاف فارس بعدتهم وآلاتهم، بعضهم يأخذ الرواتب وبعضهم يأخذ مما يوضع على الأغنياء من أموال وصدقات، وحينما يذهبون إلى الغزو يتركون جيشاً كثيفاً فى ديارهم، حتى يروعوا الأبناء والذخيرة. ولهم طلائع تتقدم الجيش، كما تتقدم الملك الشموع والنفاطات التى صنعت من الشمع حتى يسير على نورها مع الجيش. وحينما يغنمون فإنهم يجتمعون جميعاً فى المعسكر ثم يأخذ قائدهم لنفسه كل ما يريد من تلك الغنائم، ثم يقسم الباقي بين الجيش، ويأمر قائدهم أن يحمل كل جندي دبوساً له رأس حادة مقداره ثلاثة أذرع، وحينما ينزلون بغرسون تلك الدبابيس حولهم، ويعلقون على كل دبوس درعاً، وبذلك يصنعون ما يشبه السور للمعسكر، ولو أراد عدو أن يباغتهم ليلاً ويقم معهم معركة، فإنه لا يستطيع لأن المعسكر بتلك الدبابيس المدرعة يعد كأنه الحصن.

ج- ومن رسم الخزر فى دفن ملكهم:
قال "ابن فضلان": "ورسم الملك الأكبر إذا مات أن يبني له دار
كبيرة فيها عشرون بيتاً، ويحفر له فى كل بيت منها قبر، وتكسر الحجارة
حتى تصير مثل الكحل، وتفرش فيه وتطرح النورة فوق ذلك، وتحت الدار
نهر كبير يجرى، ويجعلون النهر فوق القبر، ويقولون: حتى لا يصل إليه
شيطان ولا إنسان ولا دود ولا هوام، وإذا دفن ضربت أعناق الذين يدفونه
حتى لا يرى أين قبره من تلك البيوت، ويسمى قبره الجنة، ويقولون: قد
دخل الجنة وتفرش البيوت كلها بالدجاج المنسوج بالذهب".

د- عادة حرق الموتى:

ويقول "المسعودى": "وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل، وإذا مات
منهم أعزب زوج بعد وفاته، والنساء يرغبن فى تحريق أنفسهن لدخولهن
عند أنفسهن الجنة، وهذا فعل من أفعال الهند، إلا أن الهند ليس من شأنها أن
تحرق المرأة مع زوجها، إلا أن ترى ذلك المرأة".

وهكذا أوضحت الدراسة فى الجانب الاجتماعى أصل الخزر التركى،
الذين ينسبون إلى يافث وليس إلى سام بن نوح (عليه السلام). كما أوضحت غربتهم
فى إسرائيل كغربة الأنبياء السابقين لليهود، وكذلك أوضحت الدراسة عدم نقاء
الجنس اليهودى، كما ألفت ضوءاً على رسوم الخزر؛ لتنتقل بعد ذلك إلى
الوقوف على العلاقات المتعددة بين المسلمين والخزر.

المحور الثالث
العلاقة بين الخلافة الإسلامية
ويهود الخزر

- أولاً- العلاقات الإسلامية الخزرية خلال العصر الراشدي.
- ثانياً- العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر الأموي.
- ثالثاً- العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر العباسي.
- رابعاً- انهيار دولة يهود الخزر عام ٩٦٥/٥٣٥٤م.

المحور الثالث

العلاقة بين الخلافة الإسلامية

ويهود الخزر

ستة قرون ونصف تقريبًا كان عمر الخلافة الإسلامية (١١-٦٥٦/٦٣٣-١٢٥٨م)، بداية بالعصر الراشدي (١١-٤٠هـ/٦٣٣-٦٦٣م)، مرورًا بالأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٣٤-٧٥٠م)، وأخيرًا العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)، وخلال هذه الفترة حدثت علاقات متعددة (سياسية، واجتماعية، وثقافية) بين الخلافة الإسلامية ويهود الخزر تكشف عنها الدراسة التالية:

أولاً- العلاقات الإسلامية الخزرية خلال العصر الراشدي:

حظيت منطقة جبال القوقاز وبحر قزوين، وبصفة أخص ممر داريل Dar-el (المعروف حاليًا باسم ممر كازيك)، والطريق الجانبي عبر ممر "دربند" الضيق على ساحل بحر قزوين. بعناية المسلمين منذ بداية الخلافة الراشدة. فينكر "الطبري" أنه في عام (٢٢هـ/٦٤٢م) أرسل الخليفة "عمر بن الخطاب" (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) كوكبة من القادة إلى منطقة "باب الأبواب"، فرد "سراقة بين عمرو" إلى تلك المنطقة لأهميتها، وجعل "عبد

الرحمن بن ربيعة" على طليعته، كما ولى "حذيفة بن أسيد الغفاري" أحد الأجناب، وعلى الجانب الآخر ولى "بكر بن عبد الله الليثي" الذي كان بإزاء "الباب" من قبل، مما يشير إلى خبرته بهذا المكان؛ لذلك كتب إليه الخليفة "عمر" أن يلحق بجيش سراقة.

وبهذا الترتيب يكون "سراقة" هو القائد العام، فمارس مهمته بإرسال "عبد الرحمن بن ربيعة" أمامه، ثم خرج هو في أثره، والتقى "ببكر بن عبد الله" على مقربة من الباب، فتوغل في تلك المنطقة، وعند ذلك قام الخليفة "عمر بن الخطاب" بإرسال "حبيب بن مسلمة" مدداً له من الجزيرة.

وما أن اقترب "عبد الرحمن بن ربيعة" من باب الأبواب حتى كاتبه ملكها "شهر براز" مستأماً إياه لكي يأتيه، فالتقى به فقال له: "إنى بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة، لا يُنسبون إلى أحساب، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء، ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب والأصول، وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان، ولست من القبيح فى شئ ولا من الأرمن، وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصفوى معكم، وبارك الله لنا ولكم، وجزيتنا إليكم النصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم".

وهكذا أوضح ملك "باب الأبواب" سياسته الرامية إلى محاولة كسب ود المسلمين، واستعدادهم على الخزر وغيرهم من أعداء هذا الملك، كما

لمس الجانب العرقى والاجتماعى، حين تكلم عن وجوب التقاء وجهات النظر، وتضافر الجهود بين أصحاب الحسب والنسب على من هم دونهم فى ذلك، وأنه فى معية المسلمين ومثيله إليهم، وقتاله إلى جانبهم وجزيته النصر لهم، محذراً من الشدة فى طلب الجزية، حتى لا يصابوا بالوهن فى مواجهة عدو المسلمين ربما "الخزر" وغيرهم؛ لأنه فى قوته يعتبر حاجزاً يمنع الخطر عن المسلمين وفى ضعفه يكون العكس.

وعندما سمع "عبد الرحمن بن ربيعة" كلام الملك، رد عليه قائلاً: "فوقى رجل قد أظلك فسر إليه فجوزه، فسار إلى "سراقة" فلقبه بمثل ذلك"، فقال سراقة: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه، ولا بد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض. فقبل ذلك، وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين، وفيمن لم يكن عنده الجزاء، إلا أن يُستفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة، وكتب سراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه وحسنه.

وهكذا أعطى كل من "عبد الرحمن بن ربيعة"، و"سراقة" درساً فى أخلاق القيادة العسكرية، فعبد الرحمن لم يُرد أن يقطع برأى دون الرجوع إلى قائده سراقة، وسراقة يوافق على ما أنجزه عبد الرحمن، مع تعديل بشأن الجزية، فتؤخذ على من أقام ولم يشترك فى القتال إلى جانب المسلمين، فقبل الملك ذلك وأصبحت سنة، وأن الجزية تسقط عن استنفروا للقتال فى نفس السنة، فكتب "سراقة" إلى الخليفة "عمر" بذلك فأجازه واستحسنه. مما يدل على تطور فكر "عمر بن الخطاب" حسب مقتضيات الأمور.

ثم كتب "سراقة" عهدًا "لشهر براز" جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى "سراقة بن عمرو" عامل أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب"، شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب الطراء منهم والتناء ومن حولهم، فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة، وينفقوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحًا، على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر، والحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد، فعليه مثل ما على أهل آذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يومًا كاملاً، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به. شهد "عبد الرحمن بين ربيعة، وسلمان بين ربيعة، وبكير بن عبد الله، وكتب مرضى بن مقرون وشهر".

ومن خلال كلمات الأمان يتضح مدى علو كعب المسلمين على أهالى تلك البلاد المقيمين منهم والأهالى، وعلى منطقة آذربيجان، وكلها على مقربة من أرض الخزر. مما يدل على وصول النفوذ الإسلامى إلى شواطئ بحر قزوين.

ومما يدل على ذلك قيام "سراقة بن عمرو" بتوجيه "بكير بن عبد الله، وحبيب بن مسلمة، وحذيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة" إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجه بكيرًا إلى موقان، ووجه حبيبًا إلى تفليس، وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال اللان، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر،

وكتب سراقه بالفتح، وبالذى وجه فيه هؤلاء النفر إلى عمر بن الخطاب، فأتى "عمر" أمر لم يكن يرى أنه يستحق له على ما خرج عليه فى سريح بغير مؤنة، وكان مزجاً عظيماً به جند عظيم، إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها. وقد قال "سراقه" ابتهاجاً بهذا النصر:

ومن يك سائلاً عنى فإنى . . . بأرض لا يؤاتئها القرار
بباب الترك ذى الأبواب دار . . . لها فى كل ناحية معار
نزود جموعهم عما حوينا . . . ونقتلهم إذا باح السرار
سدننا كل فرج كان فيها . . . مكابرة إذا سطع الغبار
وألحنا الجبال جبال قبح . . . وجاور دورهم منا ديار
وبادرنا العدو بكل فج . . . نناهبهم وقد طار الشرار
على خيل تعادى كل يوم . . . عتاداً ليس يتبعها المهار

وهكذا نالت تلك البلاد اهتمام المسلمين وعنايتهم، حتى أن "عمر بن الخطاب" لم يتوقع وصول المسلمين إليها بهذه السرعة، ومما يدل على مدى ما تلعبه هذه البلاد من دور مهم، هو مدى تأثيرها فى الصراع بين المسلمين والفرس، بدليل أن الفرس كانوا ينتظرون نتيجة الغزوة الإسلامية حتى يبنوا عليها قرارهم للحرب أو السلام، وقد أكد "ابن الأثير" أهمية هذا الثغر حين قال: "فأتى عمر أمر لم يظن أن يستتم له بغير مؤنة؛ لأنه فرج عظيم".

وقد أكد "الطبرى" أن "بكير بن عبد الله الليثى" أحرز نجاحاً ملموساً على أهل موقان بجبال القبيج، ووقع لهم أماناً جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال القبيج الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء، دينار على كل حالم أو قيمته، والنصح ... فلهم الأمان ما أقروا ونصحوا، وعلينا الوفاء والله المستعان، فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش، فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم، وإلا فهم ممالئون، شهر شماخ بن ضرار والرسارس بن جنادب وحملة بن جويه، وكتب سنة إحدى وعشرين".

ومما يؤكد عناية الخليفة "عمر بن الخطاب" لهذا الثغر متابعتة لما يجرى هناك، فيذكر "ابن الأثير" أنه "لما بلغ "عمر" موت "سراقة"، واستخلاف "عبد الرحمن بن ربيعة" أقر عبد الرحمن على فرج الباب، وأمره بغزو الترك". وبالطبع يقصد "ابن الأثير" بالترك "الخزر" الذين يتمركزون خلف هذا الباب.

عبد الرحمن بن ربيعة يغزو الخزر:

بعد استخلافه على الباب أمره "عمر بن الخطاب" بغزو الترك، فخرج "عبد الرحمن" بالناس حتى قطع الباب، فقال له: "شهر بزار" ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر، قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب، قال: لكننا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم، وبالله إنا معنا أقواماً لو يأذن لهم

أمرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم، قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله (ﷺ)، ودخلوا في الأمر بنية (كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرمهم)، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم، فغزا بلنجر غزاة في زمن "عمر" لم تتم فيها امرأة، ولم ييتم فيها صبي، وبلغ خيله في غزاتها البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم وعاد". وهكذا حاول "عبد الرحمن" أن يصل إلى بلنجر عاصمة بلاد الخزر وقتذاك، ثم واصل زحفه حتى بلغ مدينة البيضاء على مسافة مائتي فرسخ من بلنجر.

ويصور "ابن الأثير" الصراع الذي دار بين "عبد الرحمن بن ربيعة" والترك، فيقول: "قاتل عبد الرحمن حتى قتل، وانكشف أصحابه وأخذ الراية أخوه سلمان، فقاتل ثم خرج بالناس إلى جيلان، ومنها إلى جرجان، واجترأ الترك بعدها، ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد "عبد الرحمن" فهم يستسقون به إلى الآن". أي زمن كتابة هذا الكلام على لسان "ابن الأثير".

وهكذا شهد عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" عناية واهتماماً بالغين بمنطقة "باب الأبواب" ثغر بلاد الخزر، ووصلت قواته إلى مدينتي "بلنجر والبيضاء"، وهما من المدن المهمة هناك؛ ليفتح بذلك الباب أمام القوات الإسلامية في عهد الخليفة "عثمان بن عفان" (٢٣-٣٥هـ / ٦٤٣-٦٥٥م) للدخول إلى تلك البلاد.

فيذكر "البلاذري" أنه لما استخلف "عثمان بن عفان" كتب إلى "معاوية" عامله على الشام والجزيرة وثغورها، يأمره أن يوجه "حبيب بن مسلمة الفهري" إلى أرمينية، وكان حبيب ذا أثر جميل في فتوح الشام وغزو الروم، قد علم ذلك منه "عمر" ثم "عثمان"، ويقال: بل كتب عثمان إلى "حبيب" يأمره بغزو أرمينية وذلك أثبت، فنهض إليهما في ستة آلاف، ويقال في ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة، فأتى "قاليقلا" فأناخ عليها وخرج إليه أهلها، فقاتلهم ثم ألجأهم إلى المدينة، فطلبوا الأمان على الجلاء والجزية، فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام "حبيب بن مسلمة" بها فيمن معه أشهر، ثم بلغه أن بطريق "أرمينيا قس" قد جمع للمسلمين جمعاً عظيماً، وانضمت إليه أمراء أهل اللان وأنجاز وسمندر من الخزر.

ويستفاد من هذا أن الخليفة "عثمان بن عفان" سار على درب الخليفة "عمر بن الخطاب"، في عنايته ببلاد الخزر لموقعها الحساس، فوجه "حبيب بن مسلمة" لغزو أرمينية المجاورة لبلاد الخزر، على رأس جيش من الشام، وبعد أن دخل "قاليقلا" وأمن أهلها نما إلى علمه، أن "أرمينيا قس" الإمبراطور البيزنطي، قد اتفق مع بعض أهل الخزر ضد المسلمين، وعلى ذلك فإن الخزر قد أعلنوا الحرب ضد المسلمين ولو بطريق غير مباشر.

وعندئذ كتب "حبيب" إلى "معاوية" يطلب مدده لمواجهة هذا العدوان، فأمدّه معاوية بألفي رجل من أهل الشام والجزيرة، فأسكنهم "قاليقلا" وأقطعهم بها، وجعلهم مرابطة بها. ولما ورد "عثمان" كتاب "حبيب" كتب إلى "سعيد

بن العاص بن أمية" عامله على الكوفة يأمره بإمداد "حبيب" بجيش يقوده "سلمان بن ربيعة الباهلي" وهو "سلمان الخيل"، وكان غزاءً فسار "سلمان الخيل" إليه في ستة آلاف رجل من أهل الكوفة، وقد أقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفرات، وقد أبطأ على "حبيب" المدد فبيتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم، وقالت "أم عبد الله بنت يزيد الكلبية" امرأة "حبيب" ليلتئذ له أين موعذك؟ قال: سرادق الطاغية أو الجنة. فلما انتهى إلى السرادق وجدها عنده، قالوا: ثم إن "سلمان" ورد وقد فرغ المسامون من عدوهم. فطالب أهل الكوفة إليهم أن يشركوهم في الغنيمة فلم يفعلوا حتى تغالط حبيب وسلمان في القول، وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل، قال الشاعر:

إِنْ تَقْتُلُوا سَلْمَانَ نَقْتُلْ حَبِيبَكُمْ . . . وَإِنْ تَرَحَّلُوا نَحْوَ ابْنِ عَفَانَ نَرَحِلْ

وهكذا قاد حبيب وسلمان المسلمين ضد بعض الخزر والبيزنطيين، وبعد إحراز النصر يذكر "البلاذري" خلافاً نشب بين "حبيب وسلمان"، أو بالأحرى خلافاً بين أهل الشام وأهل الكوفة، حتى توعد شاعر من الكوفة حبيباً بالقتل من أجل توزيع الغنائم. وما إن وصل الخبر إلى الخليفة "عثمان" حتى أنهى المشكلة على الفور، بأن وجه الغنائم لأهل الشام، ثم أمر سلمان بالزحف إلى الران. أي وجه نظر المتشاحنين إلى ما هو أكبر من الغنائم وهو إعلاء كلمة الإسلام في تلك البلاد.

وبالفعل توجه "حبيب" عام (٢٥٠ هـ) إلى بلدة "مكس" من بلدان "البسفرجان" فقاطع صاحبها على بلاده، ثم اتجه إلى "أزد شاط" وهي قرية "القرمز" الذي يُصنع به، فنزل على نهر دبيل، وهناك سرح الخيول فحصرها؛ لكن أهلها تحصنوا فنصب عليهم منجنيقاً، فطلبوا الأمان فأمنهم، بعد ذلك بث سراياه حتى "ذات اللحم" وسميت بذلك لأن المسلمين أخذوا لحم خيولهم فأغار البيزنطيون عليهم قبل أن يلجموا خيولهم، ثم أجموها وقتلوه وظفروا بهم، أعقب ذلك توجيه سرية إلى "سراج طير وبغروند" فصالحه أهلها على إتاوة، وقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده، وأتى "السيشجان" فحاربه أهلها فهزمهم، وغلب على حصونهم، وسار إلى "جرزان" فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه، واتجه إلى "تقليس" فصالحه أهلها، وافتتح عدة حصون ومدن على مقربة منها صلحاً.

بيد أن "سلمان بن ربيعة الباهلي" في نفس العام اتجه إلى "أران" ففتح "البيلقان" صلحاً على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم ومباني بلادهم، واشترط عليهم الجزية والخراج، ثم اتجه "سلمان" إلى مدينة برذعة فعسكر بقواته على نهر "الثرثور" الذي يبعد عن المدينة بفرسخ "حوالي ستة كيلو مترات وربع"، واشتبك مع أهلها عدة أيام، وقام بشن الغارات على أهلها في قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان، فدخلها ووجه خيله وافتتح معظم رساتيقها.

ويذكر "ابن الأثير" أنه دعا أكراد "البلاشجان" إلى الإسلام فقاتلوه، فظفر بهم فأقر بعضهم على الجزية، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل، ووجه

سرية إلى شمكور ففتحوها، وهى مدينة قديمة ولم تزل معمورة حتى أخرجها
"الساوردية" - عند البلاذرى الساوردية - وهم قوم تجمعوا عند انصراف
يزيد بن أسيد عن أرمينية، فعظم أمرهم فعمرها "بغا" أحد قادة الترك عام
مائتين وأربعين، وسماها "المتوكلية" نسبة للمتوكل العباسى (٢٣٢-٢٤٧هـ/
٨٤٧-٨٦١م)، وسار "سلمان" بعد ذلك إلى مجمع "الرس والكر" ففتح "قبله"
وصالحه صاحب "سكر" وغيرها على إتاوة، وصالحه ملك شروان وسائر
ملوك الجبال وأهل مسقط، والشابران ومدينة باب الأبواب.

كان طبيعياً أن يحدث "صدماً بين سلمان بن ربيعة، وخاقان الخزر"
بعد هذا الجهد الملحوظ من "سلمان" فى تلك البلاد، فالتقى خلف نهر البانجر،
واشتدت وطأة القتال بين الطرفين، واستشهد "سلمان" فى هذه الموقعة مع
جمع من المسلمين، وكان "سلمان" حقاً من المحاربين الأكفاء حتى قارنه ابن
جمانة بقتيبة بن مسلم الباهلى، فقال:

وإن لنا قبرين قبر بلنجر . . . قبر بصين استآن يالك من قبر

فذاك الذى بالصين عمت فتوحه . . . وهذا الذى يسقى به سبل القطر

وهكذا رأينا كيف تعددت العلاقات بين المسلمين فى العصر
الراشدى والخزر على مناطق الحدود. مما يؤكد أهمية هذا المكان الذى راح
صحيته بعض القادة "كسلمان بن ربيعة" على سبيل المثال، ولم تتوقف
العلاقات بل واصلت طريقها فى العصر الأموى.

ثانيًا - العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر الأموي:

امتد حكم الدولة الأموية لأكثر من تسعين عامًا (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) تعددت خلالها العلاقات الإسلامية الخزرية، فهي هو أول الخلفاء الأمويين "معاوية بن أبي سفيان" (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م)، يولى "عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلي" أمر "أرمينية" لأهميتها الخاصة؛ لكونها على مقربة من بلاد "الخزر"، وإثر وفاته خلفه أخوه "عبد العزيز" فبنى مدينة "دبيل" وحصنها، كما بنى مدينة "النشوى" بالإضافة إلى تجديده بناء مدينتي "بردعة، والبيلقان".

وفي عام (٧٣هـ/٦٩٢م) في عهد الخليفة "عبد الملك بن مروان" (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) تولى أمر الجزيرة وأرمينية أخاه "محمد بن مروان" فقام بغزو أرمينية، ووصل إلى بحيرة "الطريخ"، وقد كانت مشاعًا. فضبط شئونها، وأصبح سمكها يباع لصالحه، ثم صارت من بعده لابنه "مروان"، وصارت سنة إلى أن تغير الأمر فيما بعد.

وفي عام (٩١هـ/٧٠٩م) في عهد الخليفة "الوليد بن عبد الملك" (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) غزا "مسلمة بن عبد الملك" الترك حتى بلغ "الباب" من ناحية آذربيجان، ففتح حصونها ومدناً هناك، ثم تولى أمر أرمينية بعد ذلك "عدي بن عدي بن عميرة الكندي" في عهد كل من

الخليفتين "سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م) وعمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)"، وهو صاحب نهر "عدى بالبيلقان". وهكذا أولت الدولة الأموية عنايتها ببلاد الخزر استكمالاً لما قامت به الخلافة الراشدة من غزو لأرمينية ومنطقة باب الأبواب، استعداداً للدخول إلى بلاد الخزر، وفي المقابل بدأ الخزر يردون على هذه الغزوات، فكان صراعاً عنيفاً في عام (١٠٤هـ/٧٢٢م) يُعد تطوراً في موقف العلاقات بين الطرفين.

ففي العام المذكور دخل جيش للمسلمين بقيادة "ثبيت النهري" من ناحية "أرمينية"، فاجتمعت "الخزر" وأعانهم "الققجاق" وغيرهم من الترك، والتفوا بالمسلمين في مكان يعرف "مرج الحجارة" فاقتتلوا قتالاً شديداً، واستشهد في هذه المعركة الكثير من المسلمين، وعلت يد "الخزر" لأول مرة في تاريخ الصراع المباشر وغير المباشر، وغنموا وعاد المسلمون إلى بلاد الشام، فعنفهم الخليفة "يزيد بن عبد الملك" (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) على الهزيمة، وحاول "ثبيت" تبرير الموقف لكن "يزيد" لم يقبل منه ذلك، فعين "الجراح بن عبد الله الحكمي" بدلاً منه على أرمينية، وهي القاعدة التي تتحرك منها القوات الإسلامية تجاه الخزر وغيرها.

بيد أن هذا الانتصار قد أعلّى من نفوذ الخزر؛ لكن "الجراح" أنيط به غزو الخزر، وإعادة الأمور إلى نصابها. فصار على رأس قواته حتى جاء

"برذعة" على نهر "الكر" وأقام بها بعض الوقت، ثم اتجه نحو "الخزر" فعبّر ذلك النهر، وعندئذ نما إلى علمه معرفة ملك الخزر بتحركه من أهالي البلاد، فعمد إلى حيلة مؤداها التمويه عليه، بإعلام الناس أنه مقيم في مكانه طالباً منهم توفير المؤن، ثم طلب من مناديه إعلام ملك "الخزر" بذلك، وحثه على عدم التحرك حتى لا يكون وجنده هدفاً وصيداً سهلاً للمسلمين.

وما إن أقبل الليل حتى أمر "الحجاج" جنده بتعجيل التحرك، فوصلوا إلى مدينة "الباب" فلم يجد هناك "الخزر"، وعلى الفور بث جنده وسراياه لتغزو وتحقق هدفها، بل وتؤثر على معنويات ملك "الخزر" فغزوا وغنموا كثيراً؛ لكن ملك "الخزر" لم يقف مكتوف الأيد، بل جمع الجيوش بقيادة ابنه وأرسلها تجاه المسلمين، فالتقوا على نهر "الرس" فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانجلى الموقف عن انتصار المسلمين بقيادة "الجراح" وجمعهم للعديد من الغنائم، وسار "الجراح" متجهاً إلى حصن "الحصين" فنزله وأجلى أهله عنه، ثم اتجه إلى مدينة "برغوا" فأقام عليها ستة أيام حتى طلب أهلها الصلح والأمان، فأمنهم وتسلم حصونهم.

هـ الجراح والاستيلاء على حصن بلنجر:

اتجه "الجراح" إلى حصن "بلنجر" المشهور على مقربة من نهر "إتيل" فنازل أهله، وعندئذ جمعوا له ثلاثمائة "عجلة" حربية وشدوها إلى بعضها البعض، ونشروها حول حصنهم لحمايتهم ومنع تقدم المسلمين، وحينما رأى

المسلمون ذلك اندفع من بينهم حوالى ثلاثون رجلاً تعاهدوا على الاستشهاد فى سبيل الله، وتقدموا نحو العجل المترابط، وحملوا عليه حملة رجل واحد، وجذ الخزر فى منعهم ورموهم بكم كبير من النشاب، إلا أن ذلك لم يفت فى عضد المسلمين، فواصلوا زحفهم نحو "العجل" حتى تعلقوا به ونجحوا فى قطع بعض الحبال التى تربط بينه، فاندحر "العجل" تباغاً تجاه المسلمين، وعلى أثره تقدم المسلمون واشتبكوا مع الخزر الذين حاقت بهم هزيمة قاسية، وسقط على إثرها الحصن بأيدي المسلمين وغنموا كل ما فيه.

وبعد هذا النصر، حاول "الجراح" احتواء صاحب "بلنجر" ليكون عيناً له، فقام برد أمواله وأهله وحصنه إليه، وسار متجهاً إلى حصن "الويندر" ولعله "سمندر"، وكان به نحو أربعين ألف بيت من الترك، فصالحهم على مال يؤدونه له. ولكن فى تلك الأثناء تجمع أهالى البلاد من الخزر وغيرهم آخذين الطرق على المسلمين، فأعلم صاحب "بلنجر" الجراح بذلك، فعاد "الجراح" مسرعاً حتى وصل إلى رستاق "ملى" وكان الشتاء قد أركهم فأقام المسلمون بهذا المكان، وكتب "الجراح" إلى "يزيد بن عبد الملك" يخبره بما تم له من فتح، ويطلب مدده لمواجهة تجمع "الخزر" فوعده "يزيد" بذلك؛ لكن المنية عاجلته قبل إرساله المدد للجراح.

بعد موت "يزيد" أصبح "هشام بن عبد الملك" (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٣-٧٤٢م) خليفة المسلمين، فأقر "الجراح" على عمله، ووعده بالمدد، وتقدم "الجراح" إلى اللان وراء بلنجر، وفتح العديد من المدائن والحصون.

محمد مسلمة بن عبد الملك والخزر:

وفى عام (١٠٧هـ/٧٢٣م) عزل الخليفة "هشام بن عبد الملك، "الجراح" عن أرمينية وآذربيجان، واستعمل عليها أخاه "مسلمة بن عبد الملك" فاستعمل عليهما "الحرث بن عمرو الطائي" الذي فتح العديد من بلاد ورسانيق الترك، وفى عام (١٠٩هـ/٧٢٧م) عاد مسلمة لغزو "آذربيجان" فسبى وغنم ورجع إلى الشام، وفى عام (١١٠هـ/٧٢٨م) غزا "مسلمة" الترك وباب اللان، فلقى "خاقان" فى جموعه فاقتتلوا حوالى شهراً، وحينذاك ألم بهم مطر شديد، فانهزم "خاقان"، وعاد "مسلمة"، وفى عام (١١١هـ/٧٢٩م) تقدم الترك حتى "آذربيجان" فلقبهم "الحرث بن عمرو" فهزمهم.

محمد عودة "الجراح بن عبد الله" الحكمى ثانياً لأرمينية عام (١١١هـ/٧٢٩م) وظهور الخزر:

شهد عام (١١١هـ/٧٢٩م) عودة "الجراح" إلى أرمينية وعزل "مسلمة ابن عبد الملك"، فدخل "الجراح" بلاد الخزر من ناحية "تفليس"، ففتح مدينتهم "البيضاء" وانصرف مسالماً، فتجمعت الخزر واحتشدت واستعدت للزحف إلى بلاد الإسلام، فهم لم ينسوا هزيمتهم الكبرى عام (١٠٤هـ)؛ لذلك ما إن دخل "الجراح" أرض الخزر عام (١١٢هـ/٧٣٠م) حتى تجمعت الخزر والترك واشتبكوا مع الجراح فى ناحية اللان، فاقتتلوا قتالاً أشد مما سبق راح ضحيته "الجراح" ومن كان معه من أهل الشام بمرج "أردبيل"، وكان الجراح قد ترك

على أرمينية أخاه "الحجاج بن عبد الله". وما أن استشهد الجراح حتى طمع الخزر في المسلمين فأوغلوا في البلاد الإسلامية حتى وصلوا على مقربة من مدينة الموصل على رواية "ابن الأثير"، وبذلك عظم الخطب على المسلمين، وقد أكد "البلاذري" استشهاد الجراح بأرض "بلنجر" فنكر بعد حربه مع الخزر وافتتاحه العديد من البلدان، مثل: خيزان، وغوميك، وشكي، والبيلقان، وغيرها. حارب "الخزر" في صحراء "ورثان" وقد استشهد على نهر الرس الذي سمي بالجراح، كما نسب جسر عليه إليه أيضاً.

ولما بلغ الخليفة "هشام بن عبد الملك" استشهاد الجراح ولى "سعيد الحرشي" أمر "أرمينية"، فسار إلى "خلاط"، ثم "برذعة"، وكان "ابن خاقان" يومئذ بأذربيجان يغير وينهب ويسبى ويقتل، وهو محاصر مدينة "ورثان" فخاف "الحرشي" أن تسقط "ورثان" في يده، فأرسل بعض أصحابه إلى أهل "ورثان" سرا يعلمهم بوصولهم، ويطلبهم بالتحلى بالصبر، فاتجه إليهم المنوط بتبليغهم؛ لكنه وقع في أيدي الخزر، فسأله عن وجهته فاعترف بمهمته، وعندئذ طلبوا منه مقابل منحه الحرية أن يؤثر على معنويات أهل "ورثان" بأنه لا معين ولا سند لهم، وعليهم تسليم المدينة إلى "الخزر"، فذهب المبعوث مغتتماً الفرصة، وأعلم أهل "ورثان" بتواجد "سعيد الحرشي" بقواته على مقربة منهم، وطلبهم بالصبر وحفظ البلد، فرفع أهل ورثان أصواتهم بالتكبير، وراح هذا الرجل ضحية الموقف إذ قتله "الخزر" الذين رحلوا عن مدينة "ورثان"، بينما جاءها "الحرشي" الذي لم يجد "الخزر" فغادرها إلى

"أردبيل" التي تركها "الخزر" أيضاً فتعقبهم "الحرشى" إلى "باجروان"، وعندئذ أعلمه أحد الفرسان أن الخزر قد تجمعوا فى عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين أسارى وسبائا على مسافة أربعة فراسخ (أى حوالى خمسة وعشرين كيلو متر)، فسار "الحرشى" فى اتجاههم ليلاً وانقض عليهم مع الفجر فقتلهم واستنقذ المسلمين منهم، وأخذهم معه إلى "باجروان"، كما استنقذ حرم "الجراح" وأولادهم، وأكرمهم وحملهم معه إلى "باجروان".

ويبدو أن "باجروان" كانت قاعدة للانطلاق والعودة، فبعد أن وبخ "ابن ملك الخزر" جموعه على الهزيمة التى لاقوها على أيدي المسلمين، جمع أصحابه على مقربة من "آنزيبجان" ووقع الصدام بينهم وبين "الحرشى"، فانتصر المسلمون وتبعوا الخزر إلى نهر الرس، ثم عادوا إلى "باجروان"، لكن "ابن ملك الخزر" لم يقنع بالهزيمة، فجمع جيوشه ثانية، وسار فى اتجاه "الحرشى" والتقى الطرفان على نهر "البيلقان"، وانتصر المسلمون وغرق الكثير والكثير فى هذا النهر من الخزر، وجمع "الحرشى" الغنائم وعاد إلى "باجروان"، وعندئذ أعلم الحرشى "هشام بن عبد الملك: بذلك فكتب إليه يشكره، ويأمره بالسير إليه، وفى الوقت نفسه عين أخاه "مسلمة بن عبد الملك" على أرمينية وآنزيبجان، فوصل إليها عام (١١٣هـ/٧٣١م) ووزع جيوشه ببلاد خاقان، ففتحت مدائن وحصون عديدة، ودان له من وراء جبال بلنجر، وقتل ابن خاقان، بعد ذلك اتجه إلى باب الأبواب.

مروان بن محمد وقبول ملك الخزر للإسلام:

في عام (١٢٤هـ/٧٤٤م) استعمل "هشام بن عبد الملك" ابن عمه "مروان بن محمد" على أرمينية والجزيرة وآذربيجان خلفاً "لمسلمة بن عبد الملك"، فنزل "كسال" وبنى مدينتها، وهي من "برذعة"، ثم دخل أرض الخزر. مما يلي باب اللان، وكان معه "أسيد بن زافر السلمي" يرافقه ملوك الجبال من ناحية الباب والأبواب، فأغار مروان على صقالبة كانوا هناك، فنبى منهم حوالي عشرين ألف بيت، وأسكنهم "خاخيظ" فقتلوا أميرهم وهربوا فحقهم "مروان" وقتلهم، ولما بلغ عظيم الخزر ذلك جنحوا للمهادنة، فأرسل إليه "مروان" للإسلام، وأظهر ذلك موادعاً مروان على أن يقره في مملكته، وسار مروان يرافقه جمع من الخزر، حيث أنزلهم ما بين السمر والخابران في سهل أرض الكز، ولم يكتف مروان بذلك بل ذهب إلى أرض السير، وأوقع بأهلها الهزيمة، ودان له ملك السير وأطاعه، فصالحه على ألف رأس، خمسمائة غلام وخمسمائة جارية سود الشعور والحواجب في كل سنة، وعلى مائة ألف مدى نصب في إهراء الباب، وصالح أهل "تومان" على مائة رأس، خمسين جارية وخمسين غلاماً سيبين سود الشعور والحواجب، ودخل "مروان" أرض زريكران، وأرض حمزين، وسدان، وطبر سرائشاه، ثم نزل قلعة الكز وصالح أهلها، وولى عليها "خشرما السلمي" وسار "مروان" إلى قلعة "شروان" فأذعن له صاحبها بالطاعة، وطلب منه "مروان" أن يكون في مقدمته إذا حارب الخزر، وعلى الساقة إذا

رجعوا، وعلى "فيلانشاه" أن يغزو معهم فقط، وعلى "طبر سرانشاه" أن يكون في الساقة إذا بدأوا، وفي المقدمة إذا رجعوا، وسار "مروان" إلى "الدونية" فأوقع بأهلها، ثم ذهب إلى "أردبيل" ومنها إلى "باجروان"، ثم ورثان، وأخيراً البيلقان، ومنها ترك أرمينية مولياً عليها "إسحاق بن مسلم"، وذلك بالطبع بعد مقتل الوليد بن يزيد؛ لأنه كان سبلى أمر الدولة الأموية، إذ حكم عام (١٢٧هـ/٧٤٤م)، وحتى (١٣٢هـ/٧٤٩م).

وهكذا لعب "مروان بن محمد" دوراً كبيراً في العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر الأموي كنظيره "الجراح بن عبد الله"، و"مسلمة بن عبد الملك" وغيرهما، إذ افتتحو العديد من البلدان، ومكنوا للمسلمين في تلك المنطقة المهمة والحساسة بين الشرق والغرب، مما دفع ملك الخزر إلى قبول الإسلام ولو بشكل ظاهري.

ثالثاً- العلاقات الإسلامية الخزرية في العصر العباسي:

حكم العباسيون الدولة الإسلامية أكثر من خمسة قرون (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م) كانت لهم فيها علاقات متباعدة مع الخزر، وسوف نتوقف في هذه العلاقات عند عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م) عام انهيار دولة يهود الخزر على أيدي الروس.

ولقد استهل "أبو جعفر المنصور" هذه العلاقات بولايته على الجزيرة
وأرمينية في خلافة أخيه "أبي العباس عبد الله" (١٣٢-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٣م)
وعندما أصبح "أبو جعفر المنصور" (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٤٤م) خليفة
للمسلمين ولي "يزيد بن أسيد السلمي" أرمينية، "قافتح باب اللان، ورتب فيه
رابطة من أهل الديوان، ودوخ الصناربة حتى أدوا الخراج، فكتب إليه
"المنصور" يأمره بمصاهرة ملك الخزر ففعل. وولدت له ابنته منه ابناً فمات
وماتت في نفاسها، وبعث يزيد إلى نفاطة أرض شروان وملاحاتها فجباها،
وكل به وبنى يزيد مدينة أرجيل الصغرى ومدينة أرجيل الكبرى وأنزلهما
أهل فلسطين".

وهكذا بدأ العباسيون علاقاتهم بيهود الخزر في الجانب الاجتماعي،
حيث تزوج "يزيد بن أسيد السلمي" بأمر من الخليفة "أبي جعفر المنصور"
بأنه ملك "الخزر"، وربما كان ذلك لهدوء الموقف في تلك المنطقة الحيوية،
كما جاء توطین الفلسطينيين في كل من أرجيل الكبرى والصغرى، تأكيداً
للعلاقات في الجانب الاجتماعي.

ونالت أرمينية بحكم موقعها بالنسبة للخزر عناية العباسيين كسابقهم
الأمويين والراشدين، فيذكر "البلاذري" أن أهل برذعة قالوا: "الشماخية التي
في عمل شروان نسبت إلى الشماخ بن شجاع، فكان ملك شروان في ولاية
"سعيد بن سالم الباهلي". ولما انتقض أهل أرمينية بقيادة "موشائيل" ولعله
مخائيل، على "الحسن بن قحطبة الطائي" بعث إليه "أبو جعفر المنصور"

مددًا بقيادة "عامر بن إسماعيل"، فاشتبك الحسن مع موشائيل في قتال عنيف، راح "موشائيل" ضحيته وتفرق جمعه واستقامت الأمور للحسن، وقد نسب إليه نهر الحسن بالبيلقان والباغ، الذي يعرف بباغ الحسن ببرذعة، والضياح المعروفة بالحسنية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على علو كعب العباسيين في أرمينية؛ لأهمية موقعها بالنسبة للخزر، فهو مدخل المسلمين إليها.

ويعدد البلاذري ولاية أرمينية بعد "الحسن بن قحطبة"، فيذكر: "عثمان بن عمارة بن حزيم، ثم روح بن حاتم المهلبى، ثم خزيمه بن خازم، ثم يزيد بن يزيد الشيباني، ثم عبيد الله بن المهدي، ثم الفضل بن يحيى، ثم سعيد بن سالم، ثم محمد بن يزيد بن مزيد، وكان خزيمه أشدهم ولاية وهو الذي سن المساحة بدبيل والنشوى، ولم يكن قبل ذلك".

ويذكر "ابن الأثير" أن الترك والخزر أغاروا على باب الأبواب عام (١٤٥هـ/٧٦٢م) فقتلوا من المسلمين عددًا كبيرًا.

وبالرغم من عودة النشاط العسكرى إلا أن الجانب الاجتماعى فى العصر العباسى كان له بريقه، ففى عام (١٨٢هـ/٧٩٨م) فى عهد الخليفة "هارون الرشيد" (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) حدثت مصاهرة بين "الفضل بن يحيى البرمكى" وإلى أرمينية وخاقان الخزر، حيث زفت ابنة ملك الخزر إليه؛ لكنها توفيت ببرذعة، فرجع من كان يرافقها إلى أبيها وأخبروه أنها

قتلت "عيلة"، عندئذ عاد التوتر بين الطرفين، فاعتزم ملك الخزر الزحف إلى بلاد الإسلام.

بم غزو الخزر بلاد الإسلام عام (١٨٣هـ/٧٩٩م):

في هذا العام خرج الخزر كما يبدو بسبب مقتل ابنة خاقان من باب الأبواب، فأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة، وسبوا أكثر من مائة ألف رأس، وانتهكوا أمراً عظيماً، فولى الرشيد أرمينية "يزيد بن مزيد" مضافاً إلى أنريجان، وأمدّه بالجند، وجهه نحوهم وقيل إن سبب خروج الخزر، أن "سعيد بن مسلم" قتل "المنجم السلمي"، فدخل ابنه بلاد الخزر، وطلب نجدتهم على سعيد، فوجد بالطبع الخزر فرصتهم في ذلك، فخرجوا ودخلوا أرمينية من الثّمة، وانهزم سعيد، وأقاموا نحو سبعين يوماً فوجه الرشيد لهم خزيمة ويزيد بن مزيد، فأصلحوا ما أفسد سعيد وأخرجوا الخزر وسدا الثّمة.

بم علاقة ثقافية مع الخزر:

وكما أشرنا إلى وجود علاقات اجتماعية بين العباسيين ويهود الخزر، كانت لهم أيضاً علاقة ثقافية تمثلت في رحلة "سلام الترجمان"، كما أشار إلى ذلك "ابن خردادبة" حين قال على لسان "سلام": "أن الواثق بالله لما رأى في منامه كأن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج قد انفتح، فطلب رجلاً يخرج به إلى الموضع فيستخير خبره فقال: أشناس ما هاهنا أحد يصلح إلا "سلام الترجمان"، وكان يتكلم بثلاثين لساناً، قال: فدعا بي الواثق،

وقال: أريد أن تخرج إلى السد حتى تعالينه وتجيبني بخبره، وضم إلى خمسين رجلاً شباب أقوياء، ووصلني بخمسة آلاف دينار وأعطاني ديّتي عشرة آلاف درهم، وأمر فأعطى كل رجل من الخمسين ألف درهم ورزق سنة، وأمر أن يهيا للرجال اللبابيد وتغشى بالأديم واستعمل لهم الكسبانات بالفراء، والركب الخشب، وأعطاني مائتي بغل لحمل الزاد والماء.

وهكذا صور "سلام الترجمان" مدى حرص وعناية الخليفة "الوائق بالله" (٢١٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م) بمنطقة يأجوج ومأجوج، وهى على مقربة من باب الأبواب، ذلك المكان الحساس على بحر قزوين (الخزر)، وخوفه على المسلمين من اندفاع الخزر وغيرهم من هذه المنطقة، فضلاً على وعى الخليفة الذى حاول تحقيق الحلم إلى واقع يقوم على التجربة والخبرة العملية الميدانية لا على الظن، بل وخبرة الخليفة فى تزويد البعثة بما تحتاجه من مال وزاد ولباس واق للأفراد تمشياً مع المناخ وتقلباته.

يوصل "سلام" حديثه قائلاً: "فشخصنا من "سرّ من رأى" بكتاب من "الوائق بالله" إلى "إسحاق بن إسماعيل" صاحب أرمينية وهو بتقليس فى إنفاننا، وكتب لنا "إسحاق" إلى صاحب السرير، وكتب لنا صاحب السرير إلى ملك اللان، وكتب لنا ملك اللان إلى فيلان شاه، وكتب لنا فيلان شاه إلى طرخان ملك الخزر، فأقمنا عند ملك الخزر يوماً وليلة حتى وجه معنا خمسة أدلاء، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوماً، فانتهينا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلاً نشمه من الرائحة المنكرة فسرنا فيها

عشرة أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها عشرين يوماً، فسألنا عن حال تلك المدن فخبّرنا أنها المدن التي كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها فخرّبوها، ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شعبة منه السد، وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤون القرآن لهم كتابات ومساجد، فسألونا من أين أقبلنا فأخبرناهم إنا رسل أمير المؤمنين، فأقبلوا يتعجبون ويقولون أمير المؤمنين، فنقول: نعم، فقالوا: شيخ هو أم شاب؟ فقلنا: شاب، فعجبوا أيضاً، فقالوا: أين يكون؟ فقلنا: بالعراق في مدينة يقال لها "سُرّ مَنْ رَأَى". فقالوا: ما سمعنا بهذا قط، وبين كل حصن من تلك الحصون إلى الحصن الآخر فرسخ إلى فرسخين أقل أو أكثر".

ومن تلك الكلمات يوضح "سلام" طريق الرحلة من "سُرّ مَنْ رَأَى" إلى ملك الخزر بادئاً بالوصول إلى تفليس ومنها إلى صاحب السرير، ثم إلى ملك اللان ومنه إلى فيلان شاه ومنه إلى طراخان ملك الخزر، الذي قدم له المرشدين فساروا معه شهراً حتى وصلوا إلى حصون بها أناس يتكلمون العربية والفارسية.

يواصل "سلام" حديثه، فيقول: "ثم صرنا إلى مدينة يقال لها أَيْكَة... لها أبواب حديد يرسل الأبواب من فوقها، وفيها مزارع وأرجاء، وهي التي كان ينزلها ذو القرنين بعسكره، بينها وبين السد مسيرة ثلاثة أيام، وبينها وبين السد حصون وقرى حتى تصير إلى السد... وهو جبل مستدير ذكروا أن يأجوج ومأجوج فيه، وهم صنفان ذكروا أن يأجوج أطول من مأجوج،

ويكون طول أحدهم ما بين ذراع إلى ذراع ونصف وأقل أو أكثر، ثم صرنا إلى جبل عال عليه حصن، والسد الذي بناه ذو القرنين هو فج بين جبليين عرضه مائتا ذراع وهو الطريق الذي يخرجون منه فيتفرقون في الأرض نحو أساسه ثلاثين ذراعاً إلى أسفل وبناه بالحديد والنحاس حتى ساقه إلى وجه الأرض ثم رفع عضدتين، مما يلي الجبل من جنبتي الفج عرض كل عضادة خمس وعشرين ذراعاً في سمك خمسين ذراعاً الظاهر من تحتها عشر أذرع خارج الباب، وكله بناء بلبن من حديد مغيب في نحاس تكون اللبنة ذراعاً ونصف في ذراع ونصف في سمك أربع أصابع، ودروند حديد طرفاه على العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً قد ركب على العضادتين، وفوق الدروند بناء بذلك اللبن الحديد في النحاس إلى رأس الجبل، وارتفاعه مد البصر، يكون البناء فوق الدروند نحواً من ستين ذراعاً، وفوق ذلك شرف حديد في طرف كل شرفة قنطان تنتهي كل واحدة منها على الأخرى، طول كل شرفة خمس أذرع في عرض أربع أذرع، وعليه سبع وثلاثون شرفة، وإذا باب حديد مصراعين معلقين عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ارتفاع خمس وسبعين ذراعاً في تخن خمس أذرع وقائماتها في دواره على قدر الدروند لا يدخل من الباب ولا من الجبل ريح... وعلى الباب قفل طوله سبع أذرع في غلط باع في الاستدارة، والقفل لا يحتضنه رجلان، وارتفاع القفل من الأرض خمس وعشرين ذراعاً، وفوق القفل بقدر خمس أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل، وقفيزاه كل

واحد منهما ذراعان، وعلى الغلق مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنتا عشرة دندانكة كل دندانكة فى صفة دستج الهواوين، واستدارة المفتاح أربعة أشبار معلق فى سلسلة ملحومة بالباب طولها ثمانى أذرع فى استدارة أربعة أشبار، والحلقة التى فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق، وعتبة الباب عرضها عشر أذرع فى بسط مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين.. ومع الباب حصنان.. على باب هذين الحصنين شجرتان وبين الحصنين عين عزبة، وفى أحد الحصنين آلة البناء التى بنى بها السد من القنور الحديد، والمغارف الحديد على كل ديكدان أربع قدور مثل قدور الصابون، وهناك بقية من اللبن الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ، تلك الحصون يركب فى كل يوم اثنين وخمسين وهم يتوارثون ذلك الباب. كما يتوارث الخلفاء الخلافة يجرى راكبًا ومعه ثلاثة رجال على عنق كل رجل مرزبة، ومع الباب درجة فيصعد على أعلى الدرجة فيضرب القفل ضربة فى أول النهار فيسمع لهم جلبة مثل كور الزنابير ثم يخدمون، فإذا كان عند الظهر ضربة ضربة أخرى، ريصغى بأذنه إلى الباب فتكون جلبتهم فى الثانية أشد من الأولى ثم يخدمون، فإذا كان وقت العصر ضرب ضربة أخرى فيضجون مثل ذلك ثم يقعد إلى مغيب الشمس ثم ينصرف، الغرض فى قرع القفل أن يسمع من وراء الباب فيعملوا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحشوا فى الباب حدثًا، قال سلام: فقلت لمن كان بالحضرة من أهل الحصون، هل عاب من هذا الباب شئ قط؟ قالوا: ما فيه إلا هذا الشق..

قال: فدونت وأخرجت من خفى سكيناً فحككت موضع الشق ما خرج منه مقدار نصف درهم وأشد في منديل لأريه الواصل بالله، وعلى فرد مصراع الباب الأيمن في أعلاه مكتوب بالحديد باللسان الأول: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٨). وفي الجبل محفور الموضع الذي صب في الأبواب، وموضع القصور التي كان يخلط فيها النحاس، والموضع الذي كان يغلى فيه الرصاص والنحاس... ولما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء ناحية خراسان، ووردنا "سُرَّ من رأى"، فدخلت على الواصل فأخبرته بالقصة وأريته الحديد الذي كنت حككته من الباب فحمد الله وأمر بصدقة يتصدق بها، وأعطى الرجال كل رجل ألف دينار، وكان وصولنا إلى السد في ستة عشر شهراً، ورجعنا في اثني عشر شهراً وأياماً.

وهكذا كانت رحلة "سلام الترجمان" ثقافية بكل المقاييس، إذ وصف الطريق من "سُرَّ من رأى" حتى سد يأجوج ومأجوج، ثم وصف "السد" وصفاً علمياً هندسياً من حفر أساسه، وإقامة دعائمه، وارتفاع بنائه، والمواد التي استخدمت في هذا البناء، وكذلك الآلات المعنية، ثم باب السد الضخم وقفله العجيب، ومفتاحه الكبير، والحصون التي تقوم بحمايته، وطريقة التواصل بين الحراس، ويأجوج ومأجوج خلف السد والباب، حتى العيب البسيط والذي أخذ منه الحديد إلى الواصل بالله دلالة على وصوله للسد ذكره، حتى عودته إلى "سُرَّ من رأى" ولقاء الخليفة، وهي كما قلنا رحلة علمية ثقافية شارك فيها

الخزر، دلالة على العلاقات الثقافية بين العباسيين والخزر، إلى جانب العلاقات الاجتماعية وكذلك السياسية.

وصفوة القول: تعددت وتباينت العلاقات بين الخلافة الإسلامية والخزر، فكانت في العصر الراشدي سياسية بحتة، بينما كانت في العصر الأموي سياسية تخللتها علاقات اجتماعية؛ لكنها كانت في العصر العباسي في أغلبها اجتماعية ثقافية.

رابعاً- انهيار دولة الخزر عام (٩٦٥هـ/٣٥٤م):

بحكم موقع دولة يهود "الخزر"، كان لها إبان سطوتها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)، السيادة على الطرق المؤدية إلى البحر الأسود، لاسيما وأن الخزر كانوا يسيطرون على مدينة "كييف" الروسية.

ومعنى هذا أن الروس إذا رغبوا في نزول البحر سواء قزوين أو الأسود، كان عليهم أن يدفعوا لليهود الخزر الضرائب المقررة والتي قدرت بـ ١٠%، حيث قال "ابن حوقل": "ومصب تجارة الروسية على دائم الأوقات إلى خزران، وكان عليهم فيما يوردونه نحو العشر من أموالهم". ورغم وجود بعض التسويات المؤقتة Modusvirendi، إلا أنها كانت محفوفة بالمخاطر، إذ استغلت الأساطيل الروسية الفرصة وهاجمت "آبسكون" فيما

بين عامي (٨٦٤-٨٨٤م)؛ لكنها منيت بهزيمة قاسية، فأعاد الروس الكرة بعد عام (٨٣٠٠/٩١٢م)، فيذكر "المسعودي" أنه بعد عام (٨٣٠٠) ورد نحو خمسمائة مركب على متن كل منها مائة شخص، وقد راسلوا ملك الخزر في رغبتهم اجتياز بلاده، وانحدرهم عبر نهره إلى بحر الخزر، مقابل نصف ما يغنمون، فوافقهم على طلبهم، وجاءت السفن الروسية وانتشرت في البحر؛ لكنها قامت بالإغارة على "آبسكون، وأذربيجان، وطبرستان، وجرجان، وباكو، وغير ذلك"، واستباحوا النساء والأطفال، ثم قدموا هداياهم لملك الخزر حسب الاتفاق.

وعلى سعيد آخر لم يعجب هذا العمل جماعة "اللارسية"، فطلبوا من الملك التصدي للروس وتركهم لهم، فوافق الملك على طلبهم لعلاقته الودية مع الخلافة الإسلامية، إلا أنه أعلم الروس بذلك لمكاسبه الشخصية.

المهم أن المسلمين اشتبكوا مع الروس في معركة حامية وانتصروا عليهم. وعندئذ قرر ملك الخزر عدم السماح للروس ثانية بدخول بلاده، واجتياز أراضيه إلى البحر، فحرم بهذا العمل الروس من ثروات متعددة، فقرروا مهاجمة بلاد الخزر في عام (٨٣٥٤/٩٦٥م)، حيث قام "الأرشيدوق Swjatoslaw" أمير كييف بالهجوم على بلاد الخزر، واستولى على مدينتهم "بيلا فيزا Biela Viezha" القلعة البيضاء، وهو الاسم السلافي لمدينة "ساركل" مقر القلعة على نهر الدون.

وبذلك بدأ انهيار دولة يهود الخزر إيماناً بسقوطها، وأصبحت حوالى عام (١٠٩٥م) تابعة للروس على رودية "شخماتوف" Ashakhmatow كاتب أقدم الحوليات الروسية، وإذا كان "ابن حوقل" قد اعتبر الانهيار بدأ عام (٣٥٨هـ)، فربما كان هذا التاريخ هو وقت وصول الخبر إليه، فالثابت كما ذكرنا وطبقاً لما جاء عند ابن الأثير وغيره أن عام (٣٥٤) هو بداية الانهيار على أيدي الروس، ثم أعقبه السقوط النهائى فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى تقريباً على أيدي المغول.

نتائج الدراسة:

وقد تمخص عن هذه الدراسة عدد من النتائج، نذكر منها ما يلى:

- ١- كشفت الدراسة عن مدى البعد السياسى فى اعتناق الخزر لليهودية بعيداً عن عبادة الدين.
- ٢- أوضحت الدراسة أصل الخزر وهم أتراك ينتمون إلى "يافت"، وليس "سام ابنى نوح" (عليه السلام) لدحض فكرة السامية.
- ٣- الوقوف على حقيقة العلاقة بين اليهود وفلسطين، منذ أول أنبياء اليهود وإلى عصر يهود الخزر (الإشكيناز)، حيث أوضحت الدراسة أن فلسطين أرض غربة بالنسبة لهم وليست أرض ميعاد بنص التوراة.

٤- الكشف عن حقيقة شائعة نقاء الجنس اليهودي، من خلال تتبع الدراسة الأنثروبولوجية، سواء في الصفات الجسدية أو فصائل الدم، وقد أثبتت الدراسة أنه لا نقاء ليهود اليوم، ولا ليهود الأمس بنص التوراة نفسها.

٥- أوضحت الدراسة عن تأثير يهود الخزر في رسومهم بالأقوام الوثنية الأخرى.

٦- أوضحت الدراسة وجود علاقات اجتماعية، كالأزواج والمصاهرة بين المسلمين ويهود الخزر، كما أوضحت علاقات ثقافية تمثلت في بعثة "سلام الترجمان".

حواشي البحث

أولاً- حواشي المحور الأول.

ثانياً- حواشي المحور الثاني.

ثالثاً- حواشي المحور الثالث.

أولاً- حواشي المحور الأول:

١- بحر قزوين (بحر الخزر): هو بحر طبرستان، وجرجان، وأبسكون، كلها واحد، وهو بحر واسع عظيم لا اتصال له بغيره، ويسمى أيضاً الخراساني والجبلي، وربما سماه بعضهم (الدوارة الخراسانية)، وقيل: اسمه بالفارسية (زراه اكنوده)، ويسمى أيضاً (أكنودة درياو)، وسماه أرسطاطاليس (أرقانيا)، وربما سماه بعضهم (الخوارزمي)، وليس به لأن بحيرة خوارزم غير هذا. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (بحر الخزر)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٧٩/١٩٧٧م، ج ١، ص ٣٤٢.

ويذكر و. بارتولد W. Barthold في دائرة المعارف الإسلامية، مادة بحر الخزر، أنه سمى بالفارسية درياي خزران، وسمى قديماً عند النروس Khwalisms Kojemore، ويكتب كذلك Khwalisskoje More، أو Khwalinkoje More وهذا مطابق لاسم بلاد خوارزم، وإن كان العرب والفرس يسمون بحر خوارزم (بحر آرال). وسمى بحر قزوين في المؤلفات الإسلامية بأسماء مختلفة تبعاً للأقاليم التي تقع على شواطئه، فسمى بحر جرجان، وهو مرادف للاسم القديم (البحر الهيرقاني Mer Hyr Canienne)، وبحر أبسكون نسبة للثغر الواقع عند مصب نهر كركان، وبحر طبرستان، أو مازندران، وبحر الديلم، وبحر جيلان، ومنذ العهد المغولي سمى بحر شيروان أو باكو.

٢- آرثر كيسلر Arhur Koestler: صاحب كتاب "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم The Thirteenth"، أديب موسوعي الثقافة، وهو يهودي من أب مجري وأم نمساوية، ولد في بودابست عام ١٩٠٥م، وعاش في النمسا، ثم قام بالتنقل والترحال بين عدد من البلدان، فزار: فلسطين، وبرلين، والاتحاد السوفيتي "سابقاً"، وآسيا الوسطى، وأسبانيا، وأوكرانيا، وقد ألف كتابه الشهير "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم" قدم فيه دراسة وافية عن الخزر: عقيدة وعادات وتقاليده وعلاقات. هذا وتوفي "كوسلر" بلندن في ٣ مارس عام ١٩٨٣.

٣- جمال حمدان "دكتور": شخصية مصر (دراسة في عبقرية المكان)، دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٣.

٤- خمليج: وردت عند ياقوت باسم (خميخ)، وقال عنها: إنها مدينة ببلاد الخزر، قال "البحري" يمدح إسحاق بن كنداجيق:

لم تكن الخزرات إلف ذؤابة . . . يحتل في الخزر النوايب والنرى

شرف تزيد في العراق إلى الذي . . . عهدوه في خمليج أو بيلنجري

راجع ياقوت الحموي: المصدر السابق، مادة خمليخ، ج ٢، ص ٣٨٩.

٥- بلنجر: بفتحيتين وسكون النون، وجيم مفتوحة وراء، مدينة ببلاد الخزر

خلف باب الأبواب، قالوا افتتحها (عبد الرحمن بن ربيعة). راجع

ياقوت الحموي: المصدر السابق، مادة خمليخ، ج ١، ص ٤٨٩-٤٩٠.

٦- البيضاء: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، ابن كنداجيق الخزري:

... أرض فكل الصيد في جوف الفرا
... في الحالتين مملكاً ومؤمراً

... عهدوه بالبيضاء أو ببلنجرا
... شرف تزيد بالعراق إلى الذي

راجع ياقوت الحموي: المصدر السابق، مادة البيضاء، ج ١.
ص ٥٢٩-٥٣٠.

٧- ابن خرداذبة: ت حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢م (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله)،
المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ١٢٥.

٨- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص ١٢٢.

٩- أرآن: بالفتح وتشديد الراء، وألف ونون، اسم أعجمي لولاية واسعة.
وبلاد كثيرة، منها جنزة، وهى التى تسميها العامة كنجة، ومنها برذعة،

وشمكور، وبيلقان، وبين آذربيجان وأرآن نهر يقال له "الرس" كل ما
جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو أرآن، وما كان من جهة

المشرق فهو من آذربيجان، ويقع إقليم الرآن بين نهري "الرس"
و"الكر". ويستخرج من الثانى السمك المعروف "بالسرماهى"

و"شورماهى" بالفارسية معناها السمك المملح. راجع ياقوت الحموي:

المصدر السابق، مادة أران، ج ١، ص ١٣٦. وكى استرنج بلندن،
الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة
الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢١١.

١٠- جرزان: بالضم ثم السكون وزاى وألف ونون، اسم جامع لناحية
بأرمينية قصبته تفليس. ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج ٢، مادة
جرزان، ص ١٢٥.

١١- سيسجان: بكسر أوله وفتح، هى فى الإقليم الخامس، بلدة بعد أران،
افتتحها حبيب بن مسمدة وسماها غزاة أرمينية الأولى. راجع ياقوت
الحموى: المصدر السابق، مادة سيسجان، ج ٣، ص ٢٩٧.

١٢- إتل أو آيدل (القولجا): نهر عظيم يشبه دجلة، وهو ببلاد الخزر، ويمر
ببلاد الروس وبلغار، وقيل إتل قسبة بلاد الخزر، والنهر مسمى بها،
وينبع هذا النهر من أقصى الجنوب فيمر على البلغار والروس والخزر،
ويصب فى بحيرة جرجان، وفيه يسافر التجار إلى ويسو ويجلبون الوبر
الكثير، كالنقز والسمور والسنجاب، وقيل إن مخرجـ من أرض
هخرخيز فيما بين الكيماكية والغزية، وهو الحد بينهما، ثم يذهب مغرباً
إلى البلغار، ثم يعود إلى برطاس، وبلاد الخزر، حتى يصب فى البحر
الخزرى، وقيل إنه يتشعب من نهر إتل نيف وسبعون نهراً، ويبقى
عمود النهر يجرى إلى الخزر حتى يقع فى البحر. راجع ابن فضلان:

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامي الدمان، مكتبة الثقافة العالمية، بيروت، الطبعة الثانية، ص ١٣٦-١٣٧، وابن حوقل: ت. ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ٣٣٢-٣٣٣، وياقوت الحموي: المصدر السابق، مادة إتل، ج ١، ص ٨٧-٨٨.

١٣- ابن رسته: (أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ت ٣١٠هـ)، الأعلاق النقية، المجلد السابع، مطبعة بريل، مدينة لينن، هولندا، ١٩٦١م، ص ١٣٩.

١٤- تفليس: قال ياقوت الحموي في معجمه تفليس: بفتح أوله وكسره، بلدة بأرمينية الأولى، وبعض يقول بأران، وهي قسبة ناحية جرجان قرب باب الأبواب، وهي مدينة قديمة أزلية. مادة تفليس، ج ٢، ص ٣٥، وقال أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ) في "تقويم البلدان" أن تفليس قسبة كرجستان. دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، طبع نقلاً عن طبعة باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م، ص ٤٠٢-٤٠٣. ونذكر (مينورسكي V. Minorsky) في دائرة المعارف الإسلامية مادة تفليس: إنها قسبة بلاد الكرج وخاصة الجزء الشرقي منها المعروف باسم خرثليا. وتعرف هذه المدينة في لغة الكرج باسم تفليس Thabilisi، والشائع أن هذا الاسم مشتق من كلمة تفيلي Tphili ومعناها حار، وفي ذلك إشارة إلى منابع تفليس الحارة، كما

تعرف في اللغة الأرمينية باسم تفخيس Tphkhis (تفليس Tphlis)، وفي العربية باسم تفليس.

١٥- الكرج: يدعى الكرج أنهم أحفاد (قارتلوس)، وأن اسمهم الأصلي (قارتول) نسبة إلى (قارتلوس) رأس الأمة الكرجية التي كان مقرها مفرق نهري "كُر" و"آراغوى" من ٢١٠٠ سنة قبل الميلاد، ويقولون أنهم كانوا معروفين عند العبرانيين باسم "منشخ" أو "منسخي"، كما أنهم يدعون أن "قارتلوس" هذا من أولاد "يافت"، وأن عاصمة ملكهم الأولى تسمى "مكسخت" نسبة إلى "ابن قارتلوس". وللكتاب الروس عدة آراء في الأصل واشتقاق كلمة "كُرَج"، وقد كُناههم السريان بكلمة "غاريز"، وكورجستان معناها بالفارسية "بلاد القوة والقدرة"، كما يذكر أن "كورجستان" سميت بذلك نسبة للقديس جورجى، وكانت بلاد الكرج تعرف باسم "سابير" ثم "أبييريا". راجع -مه ت جوناتوقه يوسف عزت باشا)، تاريخ القوقاز، تعريب: خوستوقه عبد الحميد غالب بك، القاهرة، ١٩٤٠م، ص ٢٨-٣٠.

١٦- جبال القوقاز (قفقاسيا): تمتد هذه السلسلة بين البحرين الأسود والخزر، وطولها ١٢٠٠ كيلومتر، وترتفع في بعض قممها من ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ متر، وأعلى جبالها جبل (الْبُرْز) إذ يبلغ ارتفاعه ٥٦٣٠ متر، وأهم جبالها (قوش تان تاو) و(شخارا) اللذين يبلغ ارتفاع كل منهما ٥٢٠٠ متر تقريباً، كذلك جبل قاربك المشهور ارتفاعه ٥٠٤٤ متر.

متر، والجليد لا ينقطع عن قمم تلك الشاهقات، وفيها "ثلاجات" مشهورة، منها ثلاجة (ماروخ) التي يبلغ طولها ٢ كيلو متر، وعرضها كيلو متر، وسلسلة جبال "بافسن"، وقد عبّد الروس الطريق الوحيد المسمى (دريال) المعروف قديماً بباب اللان. راجع (مه جوناتوفا يوسف عزت باشا)، المرجع السابق، ص ١١-١٢.

١٧- ابن رسته: المصدر السابق، ص ١٣٩.

١٨- سارغشن: أوردها "الكرديزي سارغش"، ويذكر "مينارسكي" أن الجزء الأول من هه الكلمة هو سريع تركي، الأصل بمعنى أصفر، وسارغشن هذه يجب أن تكون مدينة سقسين. الكرديزي ت ٤٤٢-٤٤٣ هـ (أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمد بن محمود الكرديزي)، "زين الأخبار"، ترجمة عن الفارسية الدكتور عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، هامش إ، ص ٤٦٤.

١٩- هب نلغ أو حبلنغ: أوردها الكرديزي خُئْغ بضم الخاء واللام، ونكر الأستاذ حبيبي نقلاً عن مينارسكي أنها بمعنى راض ومسرور. هامش ٢، المصدر السابق، ص ٤٦٤.

٢٠- الكرديزي: المصدر السابق، ص ٤٦٣.

٢١- الكرديزي: المصدر نفسه، ص ٤٦٤.

٢٢- ابن فضلان: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامى الدهان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، ص ١٧٢.

٢٣- كراتشكوفسكى: اغناطيوس يوليا نوفتس كراتشكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٢٠٢-٢٠٣.

٢٤- الإصطخرى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى (ت ٣٤٦هـ)، مسالك الممالك، لبنان، ١٩٢٧م، ص ٢٢٠.

٢٥- بك: بك لفظ تركى بمعنى الكبير، وأصله مقصور من بيوك أى كبير. دكتور حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، ص ٢٢٥.

٢٦- ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل القصبى (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ٣٣٠.

٢٧- المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعى الرفاعى، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م، ج ١، ص ١٧٠.

٢٨- باب الأبواب: يقال له الباب، وهي على بحر طبرستان (الخزر) أكبر من أربيل نحو ميلين في ميلين، وهي محكمة البناء، موثقة الأساس بناها أنوشروان الفارسي، كانت تحرسها أمم عديدة، مثل: (طبرسران، وفيلان، واللكز، والليران، وشروان) وغيرهم، وقد مد من سورها قطعة في البحر شبه أنف طولان ليمنع من تقارب السفن من السور، ولها أهمية كبرى في تاريخ الفرس وعلاقتهم بالخزر، وكذلك علاقة الخزر بالمسلمين، وتسمى "دربند". راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة (باب الأبواب)، ج ١، ص ٣٠٣-٣٠٤.

٢٩- سمندر: بفتح أوله وثانيه ثم نون ساكنة، ودال مفتوحة، وآخره راء، مدينة خلف باب الأبواب بثمانية أيام بأرض الخزر، بناها أنوشروان بن قباد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٦ مادة (سمندر).

٣٠- المقدسي: ثقي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي ت ٩٩٨/٥٣٨٨م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١/١٩٩١م، ص ٣٥٥.

٣١- الإصطخري: المصبر السابق، ص ٢٢٦-٢٢٧.

٣٢- أبسكون: بفتح أوله وثانيه وسكون البين المهملة، وكاف وواو ونون، مدينة على ساحل بحر طبرستان، بينها وبين جرجان أربعة وعشرون

فرسخاً، وهي فرضة للسفن والمراكب. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣، مادة أبسكون.

٣٣- دهستان: بكسر أوله وثانيه بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان ...، ودهستان ناحية بجرجان، وناحية بباذغيس من أعمال هراة، منها محمد بن أحمد بن أبي الحجاج الداهستاني الهروي. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٢، مادة (دهستان).

٣٤- برطاس: بالضم اسم لأمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم تتسب إليها الفراء البرطاسية، وهم قوم مفترشون على وادي "إتل"، وبرطاس اسم للناحية والمدينة، وهم مسلمون ولهم مسجد جامع، ولأهل برطاس لسان مفرد ليس بتركي، ولا خزري، ولا باغاري. قال الإصطخري: وأخبرني من كان يخطب بها أن مقدار الناس من المدينتين نحو عشرة آلاف رجل لهم أبنية خشب يأوون إليها في الشتاء، وأما في الصيف فإنهم يفترشون الخرakahات. قال الخاطب: وإن الليل عندهم لا يتهياً أن يسار فيه في الصيف أكثر من فرسخ، ومن إتل مدينة الخزر إلى برطاس مسيرة عشرين يوماً، ومن أول مملكة برطاس إلى آخرها نحو خمسة عشر يوماً. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٤-٣٨٥ مادة (برطاس).

٣٥- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٦-٣٣٧.

٣٦- ابن حوقل: المصدر نفسه، ص ٣٣٧.

- ٤٧- محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامى فى أرمينية، حدة الطبعة الأولى، ١٩٤١م/١٩٩٨م، ص ٢٧.
- ٤٨- كيستر: المصدر السابق، ص ٢٥.
- ٤٩- ابن رسته: المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٥٠- كيستر: المصدر السابق، ص ٢٦.
- ٥١- كيستر: المرجع نفسه، ص ٢٩.
- ٥٢- الإصطخرى: المصدر السابق، ص ٢٢٣.
- ٥٣- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٤.
- ٥٤- ياقوت الحموى: المصدر السابق، مادة خزر، ج ٢، ص ٣٦٨.
- ٥٥- كيستر: المصدر السابق والصفحة.
- ٥٦- د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص ٢٢.
- ٥٧- بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية، مادة بلغار.
- ٥٨- د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص ٢٢.
- ٥٩- كيستر: المرجع السابق، ص ٣٠.
- ٦٠- خاقان: هو الرسم العربى للقب السلطان التركى "قاغان" وكان يحمل هذا اللقب حكام الشعوب العريقة فى القدم، التى كانت تسمى نفسها تركا فى

القرن السادس الميلادي، وقد أخذوا هذا اللقب عن أسلافهم الأوار الأصليين أو الزلون زوان الصينيين ثم فرق بعد ذلك بين "قان" أو "خان"، وقاغان أو خاقان، واستعملت "خاقان" بمعنى خان الخانات ... وكلمة قا آن التي ظهرت في العهد المغولي، ثم لم تستعمل بعد ذلك لها نفس المعنى. راجع بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية، ج ٨، مادة خاقان، ود. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ٢٧١.

٦١- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ت ٢٨٢هـ، تاريخ اليعقوبي، المجلد الأول، بيروت، ص ١٥٩.

٦٢- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ج ٢، ص ٥٨.

٦٣- ستيقن رنسيان: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جلاويد، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ٢٦-٢٧.

٦٤- اليعقوبي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٢.

٦٥- اليعقوبي: المصدر نفسه، ص ١٦٢-١٦٣.

٦٦- اليعقوبي: المصدر نفسه والجزء، ص ١٦٣.

٦٧- الكريديزي: المصدر السابق، ص ٤٢-٤٤.

- ٦٨- ابن العبري: غريغوريوس الملقب أبو الفرد بن أمرون ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص ٥٨.
- ٦٩- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت. ٢٧٩هـ، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ١٩٨.
- ٧٠- البيلقان: من مدن أران وهي مدينة خصبة، وقيل إنها مدينة بدر بنو خزران، ولعلها بناها بيلقان بن أرمني بن لنطى بن يونان فنسبت إليه، وبينها وبين ورثان ستة فراسخ. أبو الفدا: ت. ٧٣٢هـ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م، ص ٤٠٤-٤٠٥.
- ٧١- بردعة: قال المقدسي: قصبة كبيرة مربعة في سهلة لها حصن وسعة، أسواقها قد ظلت مجتمعة، على ظهر السوق مسجد الجامع: هي بغداد هذا الإقليم، دورهم بهية من آجر، وجص، طيبة حسنة كثيرة الفواكه، بعض أساطين الجامع بجص وآجر، وبعضه بخشب، ولها نهر يتخللها، ونهر "الكر" منها على فرسخين، الأنهار متقاربة منها نقية غير أن أطرافها قد خربت، وقد خفت من أهلها، وتشعث حصنها. ويستطرد "المقدسي" في كلامه عن "بردعة" ويصف سوقها المعروف "بالكركي" قائلاً: ويقوم ببردعة سوق يسمى "الكركي"، يجتمع إليه أهل الكورة

والنواحي في يوم "الأحد" حتى أن أحدهم يقول: يوم السبت، ويوم
"الكركي"، ويوم الاثنين. يباع فيه الأبرسيم، والثياب، ولا نظير لتككهم،
ومحفورياتهم، وقرمزهم، وصبغهم، وفاكهة تسمى "الزوقل"، وقسبوية،
وسمك يقال له "الطريخ"، ولهم تين وشاه بلوط في غاية الجودة.
المقدس: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٧٥-٣٨٠، وأبو
الفدا: المصدر السابق، ص ٤٠٢-٤٠٣. ويضيف كي لسترنج: أن
"الكركي" من قرياقوس Kariakos اليوناني، وتعني "يوم الرب"،
ويسمون يوم الأحد هناك يوم الكركي. كي لسترنج: بلدان الخلافة
الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة
الرسالة، بيروت، لبنان، ص ٢١٢.

٧٢- الطبري: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٠.

٧٣- ابن العبري: المصدر السابق، ص ٥٨.

٧٤- كريستسن (آرثر): إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: د. يحيى
الخشاب، مراجعة: د. عبد الوهاب عزام، الهيئة المخرية العامة
للكتاب، ١٩٩٨م، ص ٤٣١.

٧٥- البلاذري: المصدر السابق، ص ١٩٩-٢٠٠.

٧٦- كينسلر: المرجع السابق، ص ٣١.

٧٧- اليعقوبي: المصدر السابق والجزء، ص ١٧٨.

٧٨- الطبري: المصدر السابق والجزء، ص ١٠٢.

٧٩- كريستنسن: المرجع السابق، ص ٤٣١.

٨٠- كيسنلر: المرجع السابق، ص ٣٢.

٨١- اليعقوبي: المصدر السابق والجزء، ص ١٦٥-١٦٦.

٨٢- البلخي: أبو زيد أحمد بن سهل، ت. ٣٢٢هـ، وضع حواشي الكتاب

خليل عمر بن المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٢٩٤.

٨٣- د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص ١١.

٨٤- كيسنلر: المرجع السابق، ص ٣١.

٨٥- ابن رسته: المصدر السابق، ص ١٣٩.

٨٦- ابن رسته: المصدر نفسه والصفحة.

٨٧- الإصطخرى: المصدر السابق، ص ٢٢٠.

٨٨- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٠.

٨٩- المقدسي: المصدر السابق، ص ٣٦٠.

٩٠- الكريزي: المصدر السابق، ص ٤٦٣.

- ٩١- اليعقوبى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٨.
- ٩٢- المسعودى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠-١٧١.
- ٩٣- د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص ١٣٦.
- ٩٤- كيسنر: المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.
- ٩٥- باقوت: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٨، مادة خزر.
- ٩٦- المسعودى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠.
- كيسنر: المرجع السابق، ص ٢٣.

د. م. دنلوب: المرجع السابق، ص ١٣٥.

<http://www.arabmbcil/History3.2002.html,P.1>.

٩٧- كيسنر: المرجع السابق، ص ٢٣.

٩٨- الشامانية Shamanism: تظهر العقائد الشامانية فى مراسم الجنائز والدفن عند الترك، وتروى المصادر الصينية أن الأتراك يقيمون إلى جوار قبور الجند تماثيل لقتلى هؤلاء، وقد عززت نقوش أرخون. هذه الرواية حيث ذكرت أن بعض هذه التماثيل كان يسمى بالبال Balbal. وتذكر المصادر البيزنطية أن الرؤساء العسكريين انذين يقعون فى أسر الترك كانوا ينبجون عادة إلى جوار قبر الخان. و. بارتولد: تاريخ

الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: د. أحمد السعيد سليمان، الهيئة العامة
المصرية للكتاب، ١٩٩٦م، ص ٢٨-٢٩.

٩٩- المسعودي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠.

كيستر: المرجع السابق، ص ٦٣.

١٠٠- كستر: المرجع نفسه، ص ٦٤.

١٠١- ابن النديم: محمد ابن إسحاق النديم، ت- ٩٣٨٥/٩٩٥م، الفهرست،
دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ٢٩.

١٠٢- البرغز: مدينة على ساحل بحر مايطس وهو متصل بخليج
القسطنطينية، وتطلق على جماعة من الترك، ويقول المسعودي: وملك
الترك في وقتنا هذا وهو ٣٣٢هـ، مسلم أسلم أيام المقتدر العباسي، وقد
ذكرها ياقوت برغر.

المسعودي: المصدر السابق ١٧٣/١، ياقوت: المصدر السابق ٣٨٥/٢.

١٠٣- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص ١٧٦-١٧٧.

كيستر: المرجع السابق، ص ٦٨.

د. زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي، عين للدراسات والبحوث
الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٤٧.

١٠٤- ابن أبى أصيبعة: موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرى، ت. ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج ٣، ص ٨٢، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٠٥- كينستر: المرجع السابق، ص ٦٩.

د. زبيدة محمد عطا: المرجع السابق، ص ٤٧.

د. محمد عبد الشافى المغربى: المرجع السابق، ص ٢٠٠.

١٠٦- غراء السمك Isinglass: نوع من الغراء المستخرج من بعض أصناف السمك، وتشتهر باستخراجه بقاع فى روسيا على نهر الفولجا، وغيره من أنهارها، وتتفق بعض هذه البقاع مع المواطن التى كان يسكنها، ولهذه المادة قيمة صناعية هامة فى تنقية السوائل المختلفة، كما أنها تدخل فى صقل الحرير وغيره.

ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٤.

مهدى علام: هامش (١)، ص ٣٠٩، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس، مادة الخزر.

١٠٧- كينستر: المرجع السابق، ص ٧١، زبيدة محمد عطا: المرجع السابق، ص ٤٧.

١٠٨- كيستر: المرجع السابق، ص ٧٣.

Her Man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, Art CHAZAKS.

١٠٩- كيستر: المرجع السابق، ص ٧٣.

١١٠- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص ١٧٩.

كيستر: المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.

Abba Eban, My People, the Story of the Jewish, P.145.

١١١- كيستر: المرجع السابق، ص ٦٩.

Her Man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, Art CHAZAKS.

Abba Eban, My People, the Story of the Jewish, P.149.

عبد الحميد حمودة: وما شأن الكيان الصهيوني بالسامية، مقال بمجلة

مركز الدراسات الإسلامية، العدد ١٣٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص ٣.

<http://www.alsunnah.org/dcenterm.asp2catid=851J.page3id=2982>.

١١٢- كيستر: المرجع السابق، ص ٦٩.

Her Man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, Art CHAZAKS.

١١٣- كيستر: المرجع السابق، والصفحة.

Abba Eban, My People, the Story of the Jewish, P.149.

١١٤- كيستر: المرجع السابق، ص ٧٦.

Her Man Rosenthal, Jewish Encyclopedia, Art CHAZAKS.

د. زبيدة محمد عطا: المرجع السابق، ص ٤٩.

١١٥- كينستر: المرجع السابق، والصفحة.

١١٦- كينستر: المرجع نفسه، ص ٧٨-٧٩.

Abba Eban, My People, the Story of the Jewish, P.150.

ثانياً- حواشي المحور الثاني:

١١٧- الأنثروبولوجية Anthropology: ذكرت مارجريت ميد M. Mead (١٩٠١-١٩٧٩م) أن الأنثروبولوجية تصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية، للنوع البشري عبر الزمان وفي سائر الأماكن، كما تحلل الصفات البيولوجية، والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما تحلل النظم الاجتماعية والتكنولوجية.

حسين فهمي: قصة الأنثروبولوجيا، الكويت، ١٩٨٥م، ص ١٣.

١١٨- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت. ٢٧٦هـ، المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٣.

١١٩- اليعقوبي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٥-١٦.

١٢٠- السامية: حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، لم يكن يعرف في القاموس السياسي شيء عن السامية، وعلى مدى فترة زمنية طويلة كانت السامية كلمة ينحصر استعمالها في نطاق اللغويات، والكتابات الأثرية، إذ اعتبرت اللغة السامية من أقدم لغات العالم، وقسمت إلى

مجموعات ثلاث (السامية الشمالية الشرقية "الأكدية"، والسامية الشمالية الغربية "العبرية والآرامية والإيبلاوية"، والسامية الوسطى والجنوبية "العربية واللغات الجنوبية الإثيوبية")، واللغات السامية الرئيسية الشائعة اليوم هي العربية والأمهرية والعبرية والتجربة. وفي منتصف القرن العشرين إبان الحرب العالمية الثانية، تحولت السامية من لغة وعرقية إلى عقيدة وأيديولوجية سياسية ثبتتها الحركة الصهيونية العالمية بعد "الهولوكوست" (غرف الغاز أو المحرقة) التي تزعم هذه الحركة الزعيم النازي (أدولف هتلر)، وقد أقامها لليهود في ألمانيا، وراح ضحيتها عدد كبير، وبعد انتهاء الحرب العالمية، وانتصار الحلفاء، ونتيجة لتراكمات تاريخية طويلة تحولت السامية إلى لا سامية أى استخدم اليهود مصطلح اللاسامية باعتبارها تهمة تمس كل من يعارض أو يشكك فى صحة "المحرقة"، وتطور الأمر بعد ذلك إلى إطلاق اللاسامية على كل من لا يوافق التيار الصهيونى العالمى، وبالفكرين الإعلامى المستمر والقولبة الإعلامية التى تعرض لها العقل الغربى، أضحت السامية تساوى اليهودية. مقال بعنوان: "الصهيونية العالمية تصنع من اللغة أيديولوجيا للابتزاز"، تحقيق عبد الرحمن المطيرى، مجلة العالم الإسلامى، العدد ١٧٦٩، الصادر فى ٣ رمضان ١٤٢٣هـ/٨/١١/٢٠٠٢م، ص ٩.

<http://www.moslimworldleaguc.org.paper/1769/articles/page9htm>.

١٢١- اليعقوبى: المصدر السابق والجزء، ص ٢٠.

- ١٢٢- الكرديزي: المصدر السابق، ص ٤٦٣.
- ١٢٣- الطبري: المصدر السابق والجزء، ص ١٩٣.
- ١٢٤- الطبري: المصدر نفسه والجزء، ص ١٩١.
- ١٢٥- الكرديزي: المصدر السابق والصفحة.
- ١٢٦- الكرديزي: المصدر نفسه والصفحة.
- ١٢٧- المسعودي: أ. أخبار الزمان، دار الأندلس، بيروت، ص ٩١، ٩٧-٩٩.
- ب. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١/١٢٥-١٢٦.
- ١٢٨- ابن الأثير: أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت. ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، بيروت، لبنان، المجلد الأول، ص ٦٢-٦٣.
- ١٢٩- ابن العبري: المصدر السابق، ص ١٢.
- ١٣٠- د. عائشة راتب: مقال بعنوان (الصهيونية)، بكتاب الصهيونية العالمية وإسرائيل، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٤٢.
- ١٣١- كيستلر: المرجع السابق، ص ٢٤.

١٣٢- كيستر: المرجع نفسه، ص ١٧٩.

١٣٣- وبنو جومر: اشكناز، وريفات، وتوجرمة. سفر التكوين: اصحاح ١٠، آية ٣.

١٣٤- وبنو جومر: اشكناز، وريفات، وتوجرمة. سفر أخبار الأيام الأول: ٦/١.

١٣٥- عبد الحميد حمودة: وما شأن الكيان الصهيوني بالسامية، مقال بمجلة السنة، العدد ١٣٢، ١٢/١٤٢٤هـ/٢/٢٠٠٤م، ص ١.

<http://www.alsunnah.org/dcenterm.asp2catid=851J.page1D=2982.2004>.

١٣٦- وليد محمد علي: حركة المتهودين الخزر، فصل من كتاب صهيونية الخزر وصراع الحضارات.

<http://www.bahethcenter.org/arabic/der.168Sohionyat6.htm10F10>.

١٣٧- عبد الحميد حمودة: المقال السابق.

١٣٨- عبد الحميد حمودة: المقال نفسه.

٢٣٩- مقال (الاسامية بدعة صهيونية على الغرب أن يتخلص من خرافتها).

<http://www.qudsway.to/links/MujallahislamNum78-11-htpage10F10>.

١٤٠- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص ١٩-٢١.

١٤١- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص ٢٠.

Rosental (11) Art Chazar in Jewish Ency. Vol.IV, P.1.

١٤٢- د. محمد عبد الشافي المغربي: المرجع السابق، ص ٩-١٠.
Art Khazar, in Harms Worth Ency. London, 1906, Vol. VI,
P.370.

١٤٣- ابن منظور: ت. ١٣٠٣/٥٧١١م، أبو الفضل جمال الدين محمد بن
مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج ٤، الطبعة الأولى، بيروت،
دار صادر، ١٩٩٠م، ص ٢٣٦.

١٤٤- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار
الجيل، ج ٢، الطبعة الأولى، ص ١٨٠.

١٤٥- ابن سيده: المخصص، بيروت، دار الكتب العامية، ج ١، الطبعة
الأولى، ص ١٠١.

١٤٦- الزمخشري: ت. ٥٣٨هـ، جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر
الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، مادة خزر، ١٣٩٩هـ/
١٩٧٩م، ص ١٦٠.

١٤٧- ياقوت: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٧، مادة خزر.

١٤٨- كينستر: المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١.

١٤٩- مورفولوجيا Morphology: هي علم التشكل أو نظرية الأشكال،
ويبحث في صور الأشياء أو أشكالها، وهو علم الحياة يدرس الصور
المميزة، والمورفولوجيا الاجتماعية هي دراسة أشكال المجتمعات،

والمورفولوجيا الاجتماعية هة دراسة العلاقة بين البنى المورفولوجية
فى الأفراد وأحوالهم النفسية.

د. عبد المنعم الحفنى: المعجم الفلسفى، الدار الشرقية، القاهرة، الطبعة
الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٣٤٢، مادة مورفولوجيا.

١٥٠- كيستر: المرجع السابق، ص ١٨١.

د. جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
١٩٩٨م، ص ١٢٨.

١٥١- كيستر: المرجع السابق، ص ١٨٢.

١٥٢- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ١٢٨.

د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،
المجلد الأول، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٥٧.

١٥٣- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ١٣١.

١٥٤- كيستر: المرجع السابق، ص ١٨٢.

د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ١٤١.

<http://www.kabreet.Egypt.com/issue12/article3.asp.P.10F10>.

١٥٥- سفر التكوين: إصحاح ١٠/١-٤.

١٥٦- كيستر: المرجع السابق، ص ١٨٢.

١٥٧- د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص ٣٠.

كيسلر: المرجع السابق، ص ٢٧.

١٥٨- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ١٣٥-١٣٦.

د. عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص ٥٧.

١٥٩- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ١٣٦.

١٦٠- كيسلر: المرجع السابق، ص ١٨٣.

د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ١٤٧.

١٦١- سفر التكوين: الإصحاح، ١٠-١/٢٠.

١٦٢- سفر التكوين: الإصحاح، ٤-١/٢٦.

١٦٣- سفر التكوين: الإصحاح، ١/٣٧.

١٦٤- سفر التكوين: الإصحاح، ٧-١/٤٦.

١٦٥- سفر التكوين: الإصحاح، ٢٧-٨/٤٦.

١٦٦- سفر التكوين: الإصحاح، ٢٢-٢١/٤٨.

١٦٧- د. علي رؤوف سيد مرسى: بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨/٥١٤٠٨م، ص ٨٧.

- ١٦٨- سورة البقرة: آية ١٣٣.
- ١٦٩- سورة البقرة: آية ١٦٩.
- ١٧٠- ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الأول، ترجمة: زكي نجيب محمود ومحمد ببران، القاهرة، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٣٢٨.
- ١٧١- بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة: عجاج نويهض، البروتوكول الحادي عشر، ص ٢١.
- ١٧٢- د. حسن ظاظا: مقال بكتاب "الصهيونية العالمية وإسرائيل"، ص ٥.
- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ٦٩.
- ١٧٣- ابن العبري: المصدر السابق، ص ٤٣.
- ١٧٤- سفر الملوك الثاني: إصحاح ١/٢٥-٧.
- ١٧٥- سفر الملوك الثاني: إصحاح ٨/٢٥-١٢.
- ١٧٦- المزامير: مزمو ١/١٣٧-٩.
- ١٧٧- سفر حزقيال: الإصحاح ١/٣٧-١٤.
- ١٧٨- د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ٦٩-٨٨.
- ١٧٩- العبرانيون: لختلف العلماء والباحثون حول أصل مصطلح "عبري" فرأى يربط بينه وبين أحد الأجداد القدامى للساميين وهو عابر بن

شالح، وثان: يرى أنها مشتقة من الفعل الثلاثى العبرى "عبر" بمعنى
النهر إشارة إلى عبور سيدنا إبراهيم نهر الفرات، وثالث: يرى اشتقاق
الكلمة من الفعل الثلاثى عبر كدليل على قطع مرحلة من الطريق،
ورابع: يرى أصل الكلمة هو "خابيرو Habiri" وهى قبائل ظهرت فى
فترة معاصرة لظهور العبريين، وكانت تغزو فلسطين، وورد ذكرهم
فى رسائل أمراء فلسطين الكنعانيين إلى عزيز مصر، وخامس: يرى
أن المصطلح ذو مغزى طبقى اجتماعى استنادًا إلى ما جاء فى سفر
الخروج ٢/٢١ بشأن المصطلح الاجتماعى "عبد عبرى" وسفر التكوين
"أبرام العبرى" ١٣/٢٤، وأخيرًا: رأى يرى أن كلمة عبر وعرب هما
أصل كلمة واحدة تعرضت للإبدال والتغيير، ومعنى هذا أن التسمية
"عبرى" إنما وظفت للدلالة على أهل البادية الرحل، أى وصف لحالة
اجتماعية معينة، وليس كاسم جنس.

د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، عالم المعرفة،
العدد ٢٤، الكويت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٥٩-٦٠.

٢٨٠- سفر الملوك الأول: ١/١١-٢.

ابن العبرى: المصدر السابق، ص ١٤-١٦.

د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص ١٥٣.

د. زبيدة محمد عطا: المرجع السابق، ص ٢٤-٢٦.

محمد أحمد خضر: شعب الله المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٠٨.

١٨١- ابن فضلان: المصدر السابق، ص ١٦٩.

المسعودي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٢.

١٨٢- الكرديزي: المصدر السابق، ص ٤٦٣.

١٨٣- المسعودي: المصدر السابق، ١/١٧٢.

١٨٤- الإصطخري: المصدر السابق، ص ٢٢٤.

١٨٥- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٠-٣٣١.

١٨٦- كيستر: المرجع السابق، ص ٥٨.

١٨٧- ابن فضلان: المصدر السابق، ص ١٦٩-١٧٠.

١٨٨- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٨-٣٦٩.

١٨٩- الإصطخري: المصدر السابق، ص ٢٢٠.

١٩٠- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٥.

١٩١- ابن فضلان: المصدر السابق، ص ١٧١.

١٩٢- الإصطخري: المصدر السابق، ص ٢٢٤.

ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٥.

١٩٣- الإصطخرى: المصدر السابق، ص ٢٢١.

ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣١.

١٩٤- المسعودى: المصدر السابق، ١/١٧١-١٧٢.

ياقوت الحموى: المصدر السابق، ٢/٣٦٨.

١٩٥- ابن فضلان: المصدر السابق، ص ١٧١.

١٩٦- ابن رسته: المصدر السابق، ص ١٤٠.

١٩٧- الإصطخرى: المصدر السابق، ص ٢٢٠.

١٩٨- ابن فضلان: المصدر السابق، ص ١٧٢.

١٩٩- المسعودى: المصدر السابق، ١/١٧١.

٢٠٠- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٠.

٢٠١- الكريزى: المصدر السابق، ص ٤٦٤-٤٦٥.

٢٠٢- ابن فضلان: المصدر السابق، ص ١٧٠.

٢٠٣- المسعودى: المصدر السابق، ١/١٧١.

ثالثاً- حواشى المحور الثالث:

٢٠٤- الطبرى: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٥.

٢٠٥- شهر براز: أورده (ابن الأثير) شهر يار. ومعناه (أكبر ملوك العصر) أو كبير المدينة. ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣١، حوادث عام ٢٢هـ، محمد موسى هندواي (المعجم في اللغة الفارسية)، ص ٢٨٩.

٢٠٦- القبيج: قال المسعودي "جبل عظيم، وصقعة صقيع جليل"، قد اشتمل على كثير من الممالك والأمم، وفي هذا الجبل اثنان وسبعون أمة، كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها، وقال ياقوت: "كلمة أعجمية وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان"، وهو آخر حدود أرمينية، وجبل القبيج فيه اثنان وسبعون لساناً لا يعرف كل إنسان لغة صاحبه إلا بترجمان. المسعودي: المصدر السابق، ١٦٨/١، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ٢٠٦/٤.

٢٠٧- الطبري: المصدر السابق، ١٥٦/٤.

د.م. دنلوب: المرجع السابق، ص ٨٠.

٢٠٨- الطبري: المصدر السابق، ١٥٦/٤.

د.م. دنلوب: المرجع السابق والصفحة.

٢٠٩- الطبري: المصدر السابق، ١٥٦-١٥٧.

٢١٠- موقان: مدينة بدر بند قريبة من ساحل بحر طبرستان (الخزر)، وأراضيها واسعة كثيرة المياه والمراعي. أبو الفدا: المصدر السابق، ص ٤٠١.

٢١١- جبال اللان: يقال لملكها (كر كنداج)، ويقال لدار الملك (معص) وتفسيره الديانة، والملك قصور ومنزهات يتنقل إليها، وبينه وبين صاحب السرب ماهرة، وهي على مقربة من جبال القبح يفصل بينهما قنطرة، وتقع بينهما قلعة يقال لها قلعة باب اللان.
راجع المسعودي: المصدر السابق، ١٨٢/١.

٢١٢- الطبري: المصدر السابق، ١٥٧/٤.

٢١٣- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ٣٠٥/١، مادة باب الأبواب.

٢١٤- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٠-٤٣١، حوادث ٢٢ هـ.

٢١٥- الطبري: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٧.

٢١٦- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣١.

٢١٧- الطبري: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٨.

ابن الأثير: المصدر السابق، ٤٣١/٢.

د.م. دفلوب: المرجع السابق، ص ٨٢.

٢١٨- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٢.

٢١٩- البلاذري: المصدر السابق، ص ٢٠٠.

٢٢٠- قاليقلا: بلد بأرمينية من نواحى خلاط، ويذكر فى تفسير الكلمة: أن أمور الروم كانت تستتب فى بعض الأزمنة، وصاروا كملوك الطوائف، فملك أرمنياقس ثم توفى فملكها بعده امرأته، وكانت تسمى "قالى" فبنت المدينة وسمتها قاليقالة بمعنى إحسان "قالى"، قيل: وصورت على باب من أبوابها، فقالت العرب قاليقلا بدلاً من قاليقالة.

راجع البلاذرى: المصدر السابق، ص ٢٠٠.

ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٩، مادة قاليقلا.

٢٢١- البلاذرى: المصدر السابق، ص ٢٠١.

الطبرى: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٤٨، حوادث ٢٤ هـ.

٢٢٢- البلاذرى: المصدر السابق، ص ٢٠٣-٢٠٤.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧٩.

٢٢٣- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧٩، حوادث ٢٥ هـ.

٢٢٤- ابن الأثير: المصدر نفسه والجزء، ص ٤٨٠.

البلاذرى: المصدر السابق، ص ٢٠٦.

٢٢٥- البلاذرى: المصدر السابق، ص ٢٠٦.

البلاذرى: المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

يهود مصر
ابن الفقيه: ت. بين (٣٠٠-٣٢٠هـ) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن
إسحاق الهمزاني، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، بيروت، لبنان،
الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٥٨٩.

٢٢٧- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٩.

٢٢٨- الطبري: المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٤١، ٤٥٤.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٥٢.

٢٢٩- البلاذري: المصدر السابق، ص ٢٠٨.

٢٣٠- الطبري: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٤، حوادث ١٠٤هـ.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٦٠.

٢٣١- الطبري: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٤-١٥.

٢٣٢- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٦١.

٢٣٣- البلاذري: المصدر السابق، ص ٢٠٨.

الطبري: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢١.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٦١-٣٦٢.

٢٣٤- الطبري: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢١.

ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٧١.

- ٢٣٥- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٨٩.
- ٢٣٦- البلاذري: المصدر السابق، ص ٢٠٨.
- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩١-٣٩٣، حواشي ١١٢ هـ.
- ٢٣٧- ابن الأثير: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩٣.
- ٢٣٨- ابن الأثير: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩٤-٣٩٥، ٤٠٣.
- ٢٣٩- البلاذري: المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١٠.
- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٢١، ٤٣٣، ٤٥٠.
- ٢٤٠- البلاذري: المصدر السابق، ص ٢١١-٢١٢.
- ٢٤١- البلاذري: المصدر نفسه، ص ٢١٢.
- ٢٤٢- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٥.
- ٢٤٣- الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٦٩.
- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣١٩.
- ٢٤٤- الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٧٠.
- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣١٩.
- ٢٤٥- ابن خردابة: المسالك والممالك، ص ١٦٢-١٦٣.

- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص ٥٩٦.
- المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٣٦٢.
- ٢٤٦- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص ١٦٣-١٦٤.
- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص ٥٩٦-٥٩٧.
- ٢٤٧- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص ١٦٣-١٧٠.
- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص ٥٩٧.
- المقدسى: المصدر السابق، ص ٣٦٢.
- ٢٤٨- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٢.
- ٢٤٩- المسعودى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٤-١٧٥.
- كيسلر: المرجع السابق، ص ١١٣-١١٦.
- ٢٥٠- المسعودى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٥-١٧٦.
- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٩٠، حوادث ٣٥٤هـ.
- بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية، مادة (بلغار)، ج ٤، ص ٩٧.
- ٢٥١- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٣٣٢.

الملاحق

١- خريطة بحر الخزر، نقلاً عن ابن حوقل، توضح بلاد المئمانسة معه، ونهر إتل، ومدينة خزران، وباب الأبواب، ونهرى الرس والكر.

٢- خريطة توضح هجرات الشعوب المتصلة بالخزر وطرق تجارتها.

٣- خريطة توضح إمبراطورية الخزر فى القرن السابع وحتى الحادى عشر

الميلادى.

٤- لوحة توضح ممر دريال الشهير.

٦ - ١٩٩ - ٢٤٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨ -	الترقيم الدولي
٢٠١٥ / ١٥٨٦٩	رقم الايداع